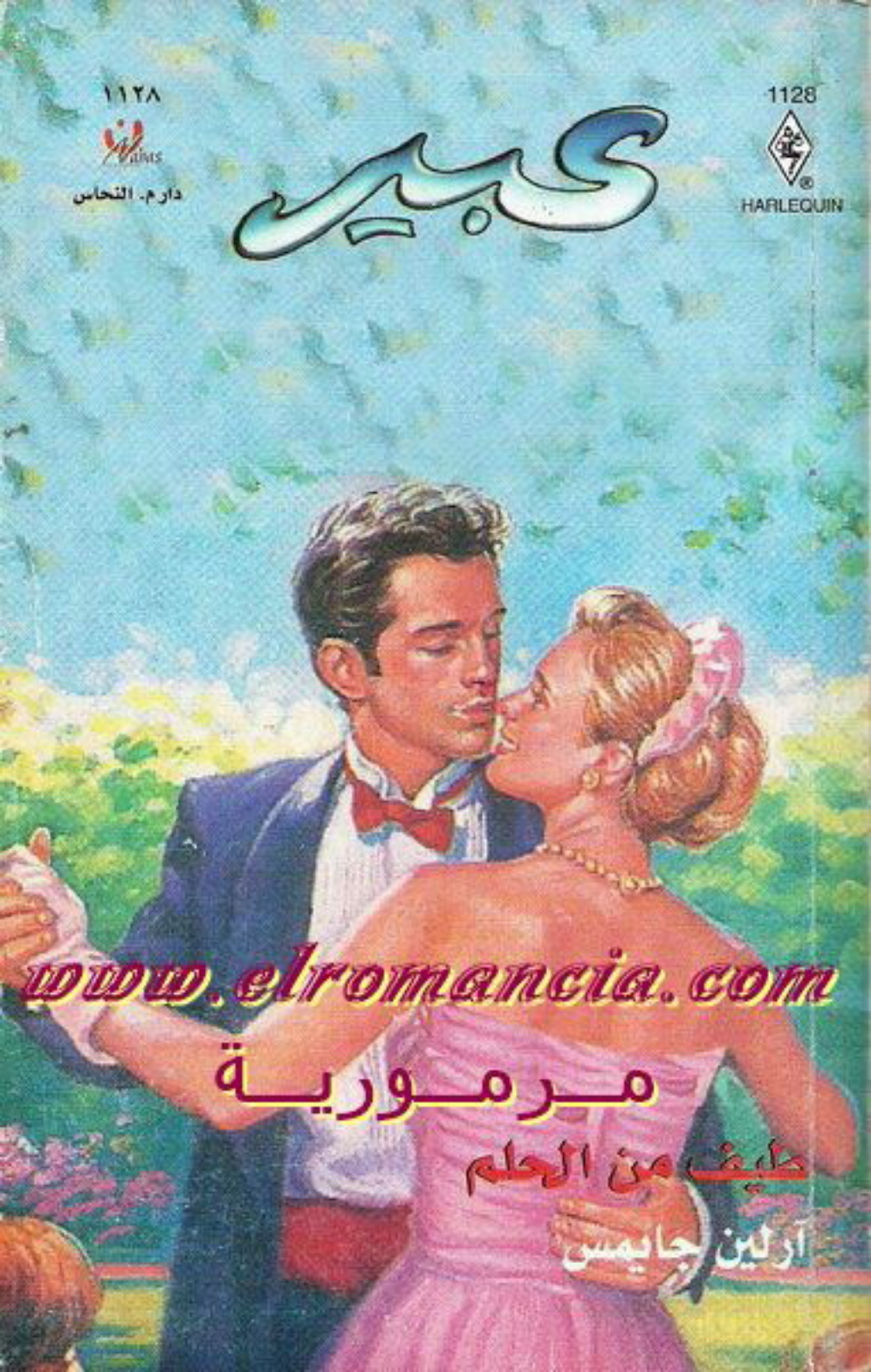

١١٢٨
1128
HARLEQUIN
دار م. النحاس
عبير
www.elromancia.com
مرمورية
طيف من الحلم
آرلين جايمس

طيف من الحلم

الحب لا يقاس بالسنوات. هذا ما اعترفت به شارلوت الفتاة الصبية اليافعة بعد لقائها برجل بالغ الخبرة في احدى جزر الكاريبي. حيث تدفقت امواج العاطفة في قلبها، لكنه كسر هذه الامواج برفضه لها.

www.elromancia.com

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

« ماذا تفعل هنا ؟»

«استكشفت المكان . لقد سمعت اشياء عن هذا المكان اثار فضولي لرؤيته .»

« ماذا سمعت ؟»

« ان هذا المكان لم تطأه قدم انسان منذ زمن بعيد . من انت ؟ وماذا تفعلين هنا ؟»

« انا شارلوت واعيش هنا .»

« هنا ؟!»

« بل في البلدة المجاورة . وانا الوحيدة التي تجيء الى هنا ، لأن الجزيرة مسكونة بالارواح .»

« ألهذا ركضت بعيداً هل تصورت انني شبح ؟»

آرلين جايمس

نشأت آرلين جايمس في اوكلاهوما وعاشت طوال حياتها في الجنوب.

تزوجت في سنة ١٩٧٦، وهي مؤلفة روايات تحب الاسفار مع زوجها، لكن الكتابة كانت دوماً هوايتها المفضلة.

www.elromancia.com
مرمورية

عبير ١١٢٨

Abir 1128

طيف من الحلم

آرلين جايمس

دار مؤسسة النحاس
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الفصل الاول

كان الجميع يحبون شارلوت مارتن وفقاً لاعمارهم، ذكوراً او اناثاً، مفتونين بسلوكها او بقوامها الممشوق ، او باستعدادها لأن تعير ثيابها الثمينة لكل من في حاجة الى ثوب مميز لموعد خاص.
كان اصدقاؤها يتفاوتون ما بين صبية صغار ومتقاعدين وحيدين. والجميع وضعوا ثقتهم في شارلوت. فساعي البريد يحدثها عن اصابته بالمرض، والمسؤولة عن نظافة المكتب تصف لها بتفصيل مرهق ولاداتها السبع. أما البقال الارمل فكان يطلب نصيحتها بشأن ابنته العنيدة المراهقة. كما كان الغرباء أحياناً يسكبون مشكلاتهم في اذنها المتعاطفة!
لكن يا ترى هل لدى شارلوت مشكلات خاصة بها! لو كان الرد بالايجاب فهي لم تذكرها لاحد، فافترض معظم الناس ان الطريق مفروش بالورد أمام فتاة جميلة مثلها في الحادية والعشرين من عمرها، تشغل وظيفة مرموقة وتقتني مفكرة مزدحمة بالمواعيد.
الذين عرفوها لفترة طويلة ادركوا تدريجاً انهم يكادون لا يعرفونها، وانها برغم ما تبدو عليه من روح اجتماعية منشرحة، متحفظة للغاية. فحتى آنيتا موراي، صديقتها الحميمة، لم تكن تطلع على مشاعر شارلوت الدفينة – او على سبب علاقاتها القصيرة المحيرة مع الرجال الذين تعرفت بهم.
كانت انيتا وشارلوت تتقاسمان شقة في لندن. وقد

عاشتا معاً حتى الليلة التي كشفت فيها شارلوت عن ذاتها.

كانتا في غرفة نومها، تتبادلان أطراف الحديث، وشارلوت تحزم حقيبتها.

الوقت شتاء، غير ان الملابس التي تناثرت على فراشها الآن كانت ملابس صيفية كلها جديدة – فيها عدد من السراويل القصيرة – الشورتات – وأثواب الاستحمام وأثواب الشاطىء وأخرى بلا أكمام بينما وضعت فوق خزانتها جواز سفر ونظارة شمسية وانبوبة ضخمة من الكريم الذي يضفي على البشرة سمرة خفيفة تحميها من أشعة الشمس. وكانت انيتا مسترخية أمامها على الفراش الآخر، تراقبها وهي تلف صنادلها في ورق شفاف، فبادرتها قائلة:

« يا لك من فتاة هادئة رصينة، لو كنت مكانك لكنت الآن في شدة الانفعال. فكري في الامر! غداً في مثل هذا الوقت ستكونين هناك.»

مرت لحظة ولم تجب شارلوت. ثم قالت بصوت خفيض:« انا لا أشعر بالهدوء ... بل أشعر ... بالفزع.»

هبت انيتا جالسة مرددة كلمة شارلوت:« فزع؟»

لم تكن شارلوت من النوع الذي يبالغ في الوصف. فهي لم تكن لتستخدم هذه الكلمة في وصف حالة بسيطة من الاضطراب العصبي الذي يحدث في الدقائق الاخيرة قبل السفر.

قضمت شارلوت شفتيها لدى رؤية التعبير على وجه أنيتا، وهي تتأرجح ما بين إحساس بالندم على اعترافها، وإحساس بالراحة لأنها أقدمت على هذا

الاعتراف. منذ ان حجزت تذكرة سفرها وهي في حال من القلق والتردد المتصاعدين. أحست من قبل بالرغبة في ان تشرك رفيقتها في ورطتها، لكنها تراجعت في كل مرة. أما الآن وليلتها الاخيرة في انكلترا، ولم يبق على سفرها سوى ساعات تواجه بعدها التزامها النهائي، أحست برغبة جارفة لتصرح ما في نفسها الى شخص تثق به.

«ماذا تعنين يا شارلوت؟»

« حسناً ... هذه ليست عطلة عادية.»

« لماذا تقولين ذلك؟»

في فترة أعياد رأس السنة. عندما ذكرت شارلوت أنها ستأخذ إجازتها في شهر شباط/فبراير وتسافر الى جزر البحر الكاريبي فكرت أنيتا أنها تمزح. فقضاء العطلات الشتوية في جزر الهند الغربية أمر قاصر على الاغنياء فقط وليس أمراً متاحاً للفتيات العاديات – حتى لو كن مثل شارلوت شققن طريقهن في العمل من موظفة آلة كاتبة الى سكرتيرة خاصة ذات كفاءة عالية تتقاضى راتباً مجزياً.

عندما أدركت أنيتا أن تلك لم تكن دعابة، جاء رد فعلها الثاني بصورة شك في ان صديقتها ربما لن تتحمل بنفسها نفقات عطلتها هذه.

فشارلوت تستطيع إذا أرادت ان تتناول عشاءها في المطاعم الفاخرة غير مرة في الاسبوع الواحد. فإلى جانب شكلها الجميل الذي يؤكده ذوقها الرفيع في الملبس، كان هناك شيء من الغموض يكتنفها، الامر الذي يثير فضول الرجال.

وكانت وظيفتها تجعلها على صلة بالعديد من رجال

الاعمال الموسرين. كان معظمهم متزوجين، ولكن ذلك لم يمنعهم بالضرورة من أن يطلبوا منها ان تلتقي بهم خارج العمل. كان البعض الذي تستفزه محاولة سبر اغوارها العميقة، والذي لا يثنيه رفضها المهذب، يمضي الى أبعد الحدود في محاولة لسحق مقاومتها.

وهكذا فكرت أنيتا بشيء من الاستياء انه ليس مستحيلاً ان يكون قد نجح في النهاية رجل جذاب مثابر في ان يقنع شارلوت بأن تترك لنفسها العنان، ولكنها لم تفصح عن هذا الظن لصديقتها خشية ان تجرح إحساسها. وكان هناك احتمال آخر – و ان بدا بعيداً – وهو ان صديقتها نجحت في ان توفر نفقات تلك العطلة. فهي لم تكن مبذرة مثل انيتا. أثناء الاسبوع الذي تدير فيه شارلوت المنزل، كان يتبقى فائض من المال تشتريان به مشروباتهما المحببة او شريط تسجيل لأغنياتهما المفضلة. كانت حذرة جداً عند اختيار أصناف جديدة من أدوات التجميل. صحيح انها تشتري الثياب الجيدة ولكن اذا كانت فقط بحاجة الى استبدال ثوب جديد بآخر استغنت عنه من المجموعة المنتقاة بعناية في خزانتها. ونظراً لجودة خامتها وعنايتها الفائقة بها، كانت ثيابها تبقى صالحة للاستعمال أضعاف أضعاف المدة التي تتحملها ثياب أنيتا الرخيصة التي كانت تشتريها بشكل عشوائي تأسف عليه دائماً فيما بعد.

« حسناً – استمري في الحديث.»

حثتها انيتا قائلة وهي لا يسعها الا ان تسأل نفسها

إذا كانت شكوكها على وشك أن تتأكد بأن شارلوت، كما خمنت من قبل، لن تكون بمفردها في هذه الرحلة الباهظة التكاليف.

« كان يجب ان اخبرك من قبل – فهي قصة طويلة معقدة.»

قالت أنيتا بصوت مسموع:« ليس من الضروري ان تذهبي اذا كنت قد عدلت عن رأيك. فمن الافضل ان تتراجعي الآن في اللحظة الاخيرة من أن تستمري في شيء لست واثقة منه.»

نظرت اليها شارلوت بعينين متكدرتين قائلة:

« هذا هو ما يجعل الامر أكثر صعوبة. فقد كنت واثقة من الامر. لم يكن لدي أدنى شك. كان يجب أن أقدم على ذلك، مهما بدا جنوناً للآخرين. ولكن بمجرد ان انتهيت من كل الترتيبات، بدأت أقلق... أتساءل ما إذا كنت قد أخطأت.»

« لماذا لا تفصحين عن الامر لي؟ فالحديث عن مشكلة يساعدك أحياناً عن رؤيتها في ضوء جديد. أتريدين فنجاناً من القهوة؟»

حدثت انيتا نفسها قائلة وهي تناولها فنجان القهوة: انها في حالة غريبة. فرغم انهما في السن نفسها الا ان انيتا كانت دائماً تعتبر صديقتها أكثر منها نضوجاً واتزاناً.

ولكن، في تلك اللحظة لم تكن شارلوت تبدو الموظفة المتزنة الثابتة. كانت قد غسلت وجهها من المساحيق، فبدا شاحباً للغاية. وكان شعرها الاشقر الطويل، الذي اعتادت ان تشبكه فوق رأسها بالدبابيس وقت العمل مسترسلاً الآن على كتفيها.

لقد بدت صغيرة، ضعيفة للغاية وهشة الشخصية.
بدأت حديثها قائلة:
« لن تكون هذه هي المرة الاولى التي أذهب فيها الى جزر الهند الغربية فلقد نشأت هناك في الواقع.»
« ماذا؟ ولكني كنت أعتقد أنك ولدت في انكلترا. لقد قلت لي...»
« نعم، ولدت في لندن ولكن والدي سافر بنا الى الخارج وانا في الرابعة من عمري. وعدت عندما كنت في الثامنة عشرة. لم اقل لك ذلك لأني لم أكن أود الحديث عن هذه الفترة من حياتي.»
« لكن لماذا؟»
ظلت شارلوت تغدو وتروح في الغرفة في قلق وقالت:«عندما جئت الى لندن كنت أحس بادىء الامر اني تعيسة وحيدة، فلندن تصبح مكاناً مرعباً اذا كنت تعيشين بمفردك ولست معتادة على العيش في مدينة كبيرة. المرة الاولى ضاق صدري في قطار تحت الارض وشعرت بذعر حقيقي. كنت أشعر احياناً، انني لو سقطت ميتة في أحد الشوارع، سيدوسني الناس بأقدامهم ولن يهتم أحد بي. فجميعهم مشغولون بالتزاحم لقضاء مصالحهم لخاصة.»
« اعرف ماذا تعنين.»
فقد كانت هي يوماً وافدة جديدة على لندن، وتذكر جيداً انها احتاجت الى بعض الوقت لتعتاد على نمط الحياة الجديد.
واستطردت شارلوت قائلة:
«وأخيراً أدركت ان علي ان استجمع نفسي، فعزمت على ألا أفكر فيما مضى وان اركز على حياتي

الجديدة. و هكذا لم أكن أتحدث عن الماضي مطلقاً، محاولة ألا أفكر فيه كثيراً. ولكني عزمت أن أعود الى هناك يوماً . وبمجرد ان حصلت على وظيفة مناسبة بدأت أوفر جزءاً من راتبي كل أسبوع. كنت أعلم أن علي انتظار وقت طويل قبل ان اوفر المال اللازم لتلك الرحلة، أعطيت لنفسي اربع سنوات... ليس فقط لأوفر المال اللازم ولكن لانضج وأغير نفسي.»
توقفت عن الحديث، فرأتها أنيتا ترتجف، ثم استطردت قائلة:
« عندما تكونين في الثامنة عشرة، فإن اربع سنوات تبدو كأنها حكم بالسجن المؤبد. في بادىء الامر اعتدت ان اشطب من أيام الرزنامة كل يوم يمر، فالاسبوع بدا كأنه شهر. وبعدئذ، وبعد ان انهيت تدريبي على اعمال السكرتارية، لم تصبح الامور بهذا السوء. كنت أعمل بجد في وظيفتي الاولى وبدأت أنشىء صداقات، وبعد ان قضيت عاماً أدركت انني لم أكن تعيسة ولكني لم أكن سعيدة. جاء وقت، قبل ان التقي بك، ظننت فيه ان بوسعي أن أكون سعيدة. ظننت أنني وقعت في حب شخص ما. ولكن هذا الحب لم يدم – كما انه لا يدوم في سائر التجارب. فبصورة ما، وبعد فترة أجدني دائماً أبتعد عن الناس – أقصد الرجال. وكأنه ... كأنه ليس بوسعي ان ابدأ من جديد قبل إن أتأكد أن ما حدث من قبل قد انتهى – انتهى تماماً.»
« اسمعي يا عزيزتي، كل هذا يبدو محيراً لي. اليس من الافضل ان تعودي الى البداية.»
« البداية؟»

رددت شارلوت تلك الكلمة بشكل غامض. ثم تنهدت وجلست وكأنها أحست بالتعب.
« اعتقد ان الامر بدأ عندما ذهبت الى الجزيرة للمرة الاولى. ليتني لم اذهب الى هناك!»
قاطعتها أنيتا قائلة:
«ما هي تلك الجزيرة وأين هي؟»
« انها جزيرة سوليفان. كنت معتادة ان اذهب الى هناك كثيرا ...»

الفصل الثاني

« نراك وقت العشاء، الى اللقاء يا عزيزتي.»
كانت شارلوت تمسك في يدها سلة غدائها وفي اليد الاخرى قناع الغطس وزعانفه، قبلت وجنتي أمها ثم ركضت عبر الممر نحو مرفأ الزوارق.
كانت في السابعة عشرة من عمرها، لم تعد طفلة، ولكنها لم تصبح امرأة بعد.
اطلقت شارلوت زفرة ارتياح وهي تستقل زورق العائلة الذي كان اليوم تحت تصرفها، ولم تسألها أمها عن مقصدها. فإن رافاس وهيلين مارتن لم يكونا ابوين يصعب إرضاؤهما. وبشكل عام كانا يشجعان أبناءهما الخمسة على روح الاستقلال وحب المغامرة.
وبرغم ذلك، كان لدى شارلوت شعور غير مريح بأنهما لن يرحبا برحلتها الى تلك الجزيرة الغامضة المهجورة، المشهورة بالنحس ... جزيرة سوليفان.
فحتى لو نجحت في اقناعهما بأنه ليس هناك ضرر في ذهابها، لن يبقى الحال على ما هو بمجرد معرفتهما. فالآخرون سيودون الذهاب الى هناك بدورهم ولن تبقى الجزيرة ملكها بعد ذلك ... مكانها السري ... الخاص بها.
كانت جزيرة سوليفان الصغيرة تبعد قليلاً عن ساحل جزيرة التوابل الجميلة التي انتشرت فيها اسرة مارتن من زمن بعيد وهي احدى جزر الهند الغربية. كان بيتهم على الساحل بالقرب من قرية للصيادين، يبعد

عن عاصمة الجزيرة حوال نصف ساعة بالمواصلات العامة – وإن كان استخدام كلمة عاصمة قد يكون مضللا بالنسبة الى مدينة سكانها لا يتعدى سبعة آلاف نسمة، وهي ايضاء ميناء لسفن الخطوط الملاحية في موسم الشتاء، لكنها لا تقارن بالميناء الجديدة في باربادوس او بأرصفة ميناء دولي صاخب مثل بورت أوف سبين في ترينيداد.

كان على شارلوت ان تبحر عدة أميال بطول الساحل لتصل الى الجزيرة مارة بمستوطنتين صغيرتين للصيادين. كانت احداهما موطنا لسيدة عجوز عرفت منها السبب وراء إثارة جزيرة سوليفان هذا القدر من الذعر بين السكان المحليين. كانت تعرف دائما ان جزيرة سوليفان مكان مليء بالشر. ولكن كان من الصعب ان تستكشف بالتحديد سبب ذلك، فلأكثر من عشرين سنة لم يجسر احد ان يطأها. السكان الذين يعيشون على مقربة من جزيرة سوليفان قوم بسطاء يؤمنون بالخرافات و يخافونها لدرجة دفعتهم الى تحاشي الكلام عنها، او حتى مجرد التفكير فيها.

وكان من الطبيعي ان يؤدي كل هذا الى شحذ حب استطلاعها. وأخيرا، بعد أسابيع من الملاطفة، نجحت في اقناع العجوز ماري المسكينة العمياء بأن تكشف لها تاريخ الجزيرة.

كانت الجزيرة محاطة بتشعبات مرجانية خطيرة، وهناك ممر واحد يتسع لمرور زورق الى البحيرة المحيطة بالجزيرة شرط ان تقوده يد ماهرة. وكان هذا المدخل الوحيد الى الجزيرة يقع ناحية البحر بعيداً عن اعين سكان الساحل.

كان الوقت ظهراً عندما كانت شارلوت، وقد وضعت يداً واثقة على الدفة، تعبر الممر المائي للمرة الرابعة عشرة منذ قامت بأول زيارة للجزيرة منذ عام. ولو كان ذلك ممكنا، لقضت شارلوت معظم أوقات فراغها في الجزيرة. ولكن لم يكن الزورق تحت تصرفها الخاص طوال يوم كامل مرات كثيرة.

تذكرت شارلوت وهي ترسو على شاطىء الجزيرة وقد ارتدت لباس بحر كان لونه ذات يوم في زرقة سماء البحر الكاريبي لكنه اصبح الآن ابيض بفعل أشعة الشمس والمياه المالحة، تذكرت المرة الاولى التي وطأت فيها قدماها ارض الجزيرة.

فلاستكشاف مكان بمثل هذه السمعة السيئة بمفردها، حتى لو كان ذلك في وضح النهار، كانت شارلوت في حاجة الى قدر كبير من الشجاعة، فحتى الآن، لا تسعى الى قضاء ليلة في الجزيرة، برغم زياراتها المتعددة لها، وبرغم انه يمكنها الآن ان تتجول في الجزيرة بدون ان تتلفت وراءها.

سمعت والدها يقول ممرارا انه ليست هناك قوى خارقة للطبيعة، وان اكثر الحوادث غموضا لها تفسير منطقي، اذا اهتم الناس بالبحث عنه، عندما كانت شارلوت في السابعة من عمرها ، كان على والدتها ان تلازم الفراش ثلاثة اشهر قبل ان تنجب شقيقها الاصغر. وخلال تلك الفترة، جاءت امرأة، طيبة ومرحة لكنها أمية تدعى فيوليت لتتولى مهام الطهي والتنظيف وهي ما زالت حتى الآن درة محببة الى نفوس أسرة مارتن. وبدون علم رافاس مارتن عمدت فيوليت الى امتاع ابنائه بالقصص الشعبية

في الهند الغربية عن الاشباح ومصاصي الدماء. وتركت قصص فيوليت المرعبة أثراً عميقاً في نفس شارلوت الصغيرة. وكانت تستمع الى تلك القصص بعينين محملقتين.

لكن الآن عندما تحملق فيوليت عينيها وتبدأ الحديث عن سكان الليل، تأخذ شارلوت في الضحك لإغاظتها ولكن في اعماقها، لم تستطع ان تقنع نفسها بأن تلك القصص هراء تماماً.

وهكذا وجدت نفسها في زيارتها الاولى للجزيرة تشق طريقها عبر النباتات الكثيفة التي تحجب الرؤية بين قلب الجزيرة والسفن والزوارق المارة وهي في حالة من الذعر الكبير.

عندما أخبرتها ماري العجوز ان هناك منزلاً في الجزيرة، تخيلته شارلوت على غرار بيتهم الصغير الساحلي، ولم تكن تتوقع ان يتبقى منه الكثير بعد مرور عشرين عاماً على هجره.

بعد ان شقت شارلوت طريقها وسط سياج من ثمار الكروم المتدلية، وجدت نفسها على مشارف ارض منبسطة وأطلقت شهقة دهشة لما رأته. وتوقفت لحظة تحدق في انبهار فهو ذلك السر الذي كشفت عنه الآن زيارتها للجزيرة. فمنزل جزيرة سوليفان لم يكن حطاماً متداعياً من الاخشاب العفنة تكسوها النباتات المتسلقة التي تنمو في انطلاق في ذلك الجو الاستوائي. حقاً، كانت اشجار الغابة تطوق الدرابزين وتتسلق الاعمدة الطويلة في بهو الطابق الارضي. بل ان هذه النباتات اقتحمت بعض الحجرات.

بعد ان اعتادت شارلوت نسبياً الاحساس الغريب

الذي راودها وهي تقف وحيدة في مكان لم تطأه قدم انسان ولم يسمع فيه صوت منذ زمن بعيد يعود الى ما قبل مولدها، كلفت نفسها بعمل «بطولي» هو وضع حد لزحف نباتات الغابة على المنزل. وتمكنت مستعينة بمنجل حاد ان تتخلص من الحاجز النباتي الذي يسد الباب الرئيسي. كانت مهمتها الآن ان تنظف الدرج الملتوي الذي يتوسط البهو الواسع.

كانت قد سقطت شجرة في فناء المنزل بفعل إعصار فاخترقت بعض فروعها النافذة التي تتوسط الدرج فتحولت الى مانع لا يمكن تخطيه بين الطابق الارضي والطابق العلوي.

صعدت شارلوت الى الطابق العلوي متسلقة أحد الاعمدة الحجرية وفكرت بعد ذلك انه اذا زلت قدمها وكسرت قد تعاني أياماً عدة من الفزع والالم قبل ان يكتشف احد زورقها الراسي في الممر المائي المؤدي الى الجزيرة.

ظلت طوال نصف ساعة تقطع الفروع المتشابكة المنبثقة من جذور الشجرة حتى لمع جسمها بعدما ان تصبب عرقاً إذ انه لم تقو اية نسمة ملطفة على اختراق هذا الساتر الخانق طاقة شارلوت المتدفقة.

جلست على الدرج تستريح لبضع دقائق. وبينما كانت تفكر في الاشخاص الذين عاشوا في هذا المنزل من قبل سمعت صوتاً يتحرك جعلها تشهق وتكتم انفاسها. أحست طوال خمس عشرة ثانية تقريباً بخوف لم تحسه في حياتها من قبل. خدر يسري في رأسها استحال جسمها الحار الى كتلة ثلج وأخذ قلبها يخفق خفقات بطيئة. ثم استعادت قدرتها على

التفكير السليم. لم يكن من في الخارج شبحاً. إنه إنسان، او حيوان. لا، لا يمكن أن يكون حيواناً. إنه إنسان. لكن من؟ بالتأكيد انه ليس من اهالي المنطقة! أهو غريب؟ شخص لا يعرف شيئاً عن الجزيرة؟

وبينما كانت تلك الافكار تومض في ذهنها سمعت وقع أقدام في الشرفة. انتظرت شارلوت في حذر، وقد زايلها الخوف، لترى الشخص الآخر الذي يتحرى من دون وعي منه الجزيرة.

كان الرجل الذي ظهر، بعد لحظات في البهو السفلي، وهي جالسة على رأس السلم، غريباً. لون بشرته كان بنياً كعامة سكان جزر الهند الغربية، لكنه كان أوروبياً. انطباعها الاول عنه، أنه طويل القامة، في مثل سن والدها تقريباً – ذلك النوع من الشخصيات الذي يصفه والدها بقوله « انه شخص قذر المظهر.» وبنت شارلوت حكمها هذا، على اساس أنه في حاجة الى حلاقة ذ قنه وانه عابس الوجه.

للوهلة الاولى لم يرها، كان هذا أمراً غريباً بالنسبة اليها، فقد كان ذلك السلم هو اول شيء لحظته عند دخولها البهو. والواضح انه صمم على ان يصوب العين الى اعلى نحو سقف الطابق الاول، حيث كانت تعلق في هذا المكان، على الارجح، ثريات ضخمة. ولكن كان الباب المؤدي الى غرفة الاستقبال اول ما لفت نظر الرجل. فسار نحوه.

تمنت شارلوت ان يدخل الغرفة. فلو فعل، تسللت خلسة هابطة الدرج وحاولت ان تخرج بدون ان يلحظها. فهي لا تعرف لماذا أحست أنه من الافضل أن تفعل ذلك. ظل واقفاً مكانه عدة لحظات، بدت

لا نهاية لها. وأخيراً، تحرك نحو الظلمة التي تظلل أكبر غرفة في المنزل، وان كان يتخللها بعض الضوء المتوهج.

التقطت شارلوت بهدوء وخلسة المنجل وبدأت تهبط الدرج بخطوات جانبية. بلغت آخر الدرج، وفجأة ظهر من جديد. حملق كل منهما في الآخر دقيقة. والآن بعدما رأته وجهاً لوجه، لم يعد لدى شارلوت أدنى شك انه لم يكن هذا النوع من البشر الذي يأمل المرء ان يلقاه في مكان كهذا تضيع فيه هباء صرخة الاستغاثة.

لقد حذرتها أمها من ان الرجال ليسوا كلهم مثل أبيها، وان بعضهم لا يمكن الوثوق به، بل يجب تحاشيه، لم تكن السيدة مارتن واضحة بشأن ما يمكن ان يقدموا عليه، اذا ما أخطأ المرء ووثق بهم. ورغم ان شارلوت لم تلق بالا الى كلام أمها في ذلك الوقت، لكنها تذكرت ذلك التحذير الآن. وأدركت بحدسها ان هذا الرجل هو من ذلك النوع الذي عنته أمها. فهي لم تر من قبل ذلك التعبير الذي علا وجهه وهو خارج من غرفة الاستقبال، ولا تستطيع ان تعرفه الآن. ولكنها كانت نظرة جعلتها تندفع عبر البهو، منطلقة خارج الباب لتلقي بنفسها وسط الغابة وكأن شبحاً يطاردها.

بلغت الشاطىء لكنه لحق بها. وأحست انه يحاول الامساك بها، راوغته ولوحت بالمنجل في وجهه. ثم وجهت اليه ضربة كان من الممكن أن تبتر ذراعه لو أصابته ولكنها لم تمسه. وبينما كان السلاح يقطع الهواء، قفز جانباً، ثم استدار واندفع نحوها. دار

صراع قصير بينهما ثم جذب المنجل من يدها وقذف به بعيداً.

وبعد لحظة وجدت وجهها منبطحاً على الرمال، بينما انحنى بجانبها، ممسكاً برسغيها خلف ظهرها. لم يكن بوسعها ان تفعل شيئاً سوى ان تلتقط أنفاسها بعدما أحست بالتعب وتملكها الفزع. فحتى لو كان لديها مزيد من القوة لتقاومه، لكان ذلك بدون جدوى. وفجأة أحست بيديها وقد تحررتا. دحرجها على ظهرها بلطف قائلاً:

« لا تفزعي، لن امسك بأذى.»

فتحت عينيها ونظرت اليه. للحظة تصورت ان الرجل الذي أمامها الآن هو رجل آخر. فلم يكن هذا هو الوجه الذي أفزعها منذ قليل في المنزل، بل بدا ودوداً ضاحكاً – يصغر عشر سنوات عما رأته منذ قليل.

جلس على الرمال قائلاً:

« أنا آسف اذ اضطررت أن أكون فظاً معك، ولكنك كدت تقسمينني نصفين، أنت في حاجة الى شيء تشربينه. انتظري سأحضر لك شيئاً.»

وبينما كان يبتعد جلست شارلوت وبصقت الرمال من فمها. كان هناك الآن في المجرى المائي زورقان زورقها وزورق سباق قرمزي اللون. جلست ترقبه وهي ترتعش وهو يغوص في المياه ناحية زورقه. وعاد بالزجاجة وسترة صوفية قائلاً:

« من الافضل ان تضعي هذا على كتفيك ولو لعشر دقائق. فلقد تلقيت صدمة قوية. إن اسنانك تصطك.»

وبعدما لاحظ انها ترتعش الى حد يمنعها من القيام بأي رد فعل طبيعي وضع السترة على

كتفيها قائلاً وهو يضع الزجاجة أمام شفتيها:

«والآن خذي جرعة من عصير الليمون هذا.»

وعندما استعادت قدرتها على التنفس، سألها:

« أتشعرين بتحسن؟»

أومأت برأسها إيجاباً. أحست بسترته وقد وضعتها على كتفيها ، خفيفة، ولكنها غاية في النعومة تشع دفئاً. وبادرته قائلة:« ماذا تفعل هنا؟»

« استكشف المكان. سمعت أشياء عن هذا المكان أثارت فضولي لرؤيته.»

« ماذا سمعت؟»

« ان هذا المكان لم تطأه قدم انسان منذ زمن بعيد. يبدو أن من ابلغني ذلك اخطأ. من انت؟ وماذا تفعلين هنا؟»

« انا شارلوت مارتن. وأعيش هنا.»

اتسعت عيناه قائلا:« هنا؟»

« كلا، ليس هنا، ولكن في البلدة المجاورة لهذا المكان.»

مد يده مبتسماً يقول:« مرحباً بك يا شارلوت مارتن. اسمي ووليام ... ووليام هاملتون.»

« اهلاً بك.»

أدركت وهما يتصافحان انها لم تر من قبل شخصاً لديه مثل هاتين العينين الزرقاوين الداكنتين.

« اهذا كل ما سمعت؟»

« حسناً، كلا، كان هناك المزيد، ولكني اعتقد ذلك جذب اهتمامي. فهم لم يقولوا شيئاً محدداً، بل الكثير من التلميحات المثيرة والقليل من الحقائق. قررت ان احضر وألقي نظرة، فلم يكن لدي ما افعله اليوم

افضل من ذلك. ومادمت تأتين الى هنا فمن المؤكد ان المكان ليس به شيء.»

« انا الانسان الوحيد الذي يجي الى هنا. فلا يجرؤ أحد من اهالي المنطقة على ذلك.»

« تعنين ان هناك شيئاً مرعباً بالنسبة الى الجزيرة؟»

« من المفروض انها مسكونة بالارواح؟»

« حقاً؟ ألهذا ركضت بعيداً ؟ هل تصورت أنني شبح؟»

« كلا، ولكنني لم استرح لمنظرك.»

ابتسم قائلاً:« انت فتاة لا تختارين الألفاظ اللطيفة! أعتقد أن شكلي بدا شعثاً بعض الشيء.»

حك ذقنه قائلاً:

« لم اتصور أنني اذا أهملت حلاقة ذقني يوماً فسيجعلني ذلك ابدو شريراً.»

« انت لا تبدو كذلك ... الآن. ولكن عندما خرجت من غرفة الاستقبال ...»

« قلت انه من المعتقد ان الجزيرة تسكنها الارواح. ارواح من؟»

«ارواح من عاشوا فيها منذ سنوات مضت ... أرواح أسرة سوليفان.»

« هل أفهم من هذا انهم ماتوا جميعاً؟ ماذا حدث بالضبط؟»

« كان السيد سوليفان رجلاً هرماً وكان غنياً ... اعتقد انه ملك الملايين وكانت زوجته تصغره كثيراً، ولم ترغب في الزواج برغم جمالها. لكن اسرتها أجبرتها على ذلك لأن والدها كان مديناً له بالمال وكان

بوسعه ان يحطمه. من المؤكد انه كان رجلاً فظيعاً. وغيوراً عليها حتى انه اشترى هذه الجزيرة وبنى هذا المنزل وابقى زوجته سجينة هنا . ثم بدأ يسيء معاملتها، بطبع حاد يصرخ ويضربها أحياناً. وفي النهاية جن وقتلها. كان سيقتل ابنه ايضاً لكنه تمكن من الهرب واختبأ حتى جاء احد اقاربه واصطحبه الى انكلترا. لكني لا اعتقد أنه تخطى تلك الواقعة. تصور لو انك رأيت أباك يطلق الرصاص على امك! لا يمكن لصبي ان ينسى هذا أبداً أليس كذلك؟»

« كلا، اتصور انه لا يمكنه ذلك. لكن من قال كل هذا؟»

« امرأة عجوز اعتادت ان تخدم في بيت سوليفان. كانت في المنزل عندما حدثت تلك الواقعة. كانت تهبط الدرج عندما سمعت طلقة رصاص ورأت الصبي الصغير يركض في البهو وخلفه والده يحمل في يده بندقية، لكن عندما رأى ماري – الخادمة – لم يخرج وراء الصبي الى الحديقة بل دخل مكتبه وانتحر.»

« اعتقد انك لا تشاركين أهل المنطقة خوفهم من هذا المكان؟»

« كلا، ليس الآن. في بادىء الامر كنت أخاف. ولكن رغم ما يمكن ان يحدث ليلاً لم احس بشيء مخيف أثناء النهار. أما في الليل، فمن المعتقد أن الناس رأوا أنواراً وسمعوا صرخات. ومن الارجح ان هذا من صنع خيالهم مع ذلك فأنا أخاف المكوث في الجزيرة بعد غروب الشمس. أعتقد ان هذا يجعلني في حماقة السكان المحليين تماماً.»

« بالعكس. انا اعتقد انك شجاعة بشكل غير عادي لتأتي الى هنا وحدك نهاراً، لماذا تأتين الى هنا؟»
« المنزل يبدو جميلاً للغاية. ومن العار ان نترك الغابة تحطمه.»
ثم أفضت اليه بحلمها الدفين وهي لا تدري بأنها تكثر الكلام بشكل يتنافى مع شخصيتها:
« سأشتري هذه الجزيرة يوماً وأعيش هنا. سأنظف المنطقة الفاصلة بين المنزل والشاطىء من الاشجار وأحولها الى حديقة جميلة. سيصبح هذا المنزل أجمل منزل في جزر الهند الغربية. سيسعى الى شرائه الاميركيون الاثرياء الذين يأتون الى هنا في الشتاء. ولكنني لن أبيعه حتى لو عرضوا علي ملايين الدولارات.»
« مقارنة بأسعار المنازل في الجزر الكبرى، اعتقد أنك ستضطرين الى دفع الكثير في مقابل ذلك.»
« أوه. كلا، سأشتريه بثمن بخس. فالاثرياء يشترون مكاناً لا يستطيعون ان يجدوا فيه من يعمل على خدمتهم.»
« ألا تظنين ان السكان قد يتغلبون على خوفهم اذا ما كانت الاجور عالية؟»
هزت رأسها نفياً قائلة:
« منذ سنوات قليلة حدث شيء جعلهم أكثر خوفاً. مر من هنا يخت خاص ظن ركابه أن جزيرة سوليفان غير مأهولة وقرروا شواء اللحم على الشاطىء ولكنهم لم يعلموا كم كان الممر ضيقاً ولم تكن لهم دراية بالتيارات المائية الخفية وأشرفوا على الغرق. أخذ سكان القرية هذه الواقعة كدليل على ان الارواح لا

تريد ان يقترب أحد من الجزيرة. لقد كنت محظوظاً إذ تمكنت من اجتياز الممر بأمان. من الافضل ان تسير أمامي في طريق العودة حتى اتمكن من انقاذك اذا تعرضت للخطر.»
« اتتمنين أن أتعرض لشيء كهذا؟»
« كلا، ابدا، ولكنك لن تقول لأحد أنك جئت الى هنا ... او انني كنت هنا، أليس كذلك؟»
« كلا، لن أقول لأحد.»
« اتعدني بذلك؟»
« نعم أعدك.»
« معي بعض الطعام في الزورق. هل تريد ان تأكل شيئاً؟ هناك ما يكفي لاثنين.»
« أشكرك كثيراً.»
أحست بالدوار وهي تتجه الى البحر وقبل ان تأتي بالسلة من الزورق غطست رأسها في الماء كالبطة لتتخلص من هذا الاحساس.
وعندما عادت وهي تسوي شعرها الطويل بادرها قائلاً:« كنت تبدين كالحورية عندما غطتك المياه حتى وسطك.»
مسحت وجهها بيديها وهي تجلس بجواره قائلة:
« كنت أتمنى ان أكون حورية بحر. فأنا أحب العيش في كهف في جزيرة. هل انت في عطلة؟ لا يبدو عليك انك سائح.»
« حقاً ، لماذا؟»
توقفت عن حل سلة الطعام ورمقته بنظرة فاحصة محاولة تحديد مبررها وراء حكمها هذا.
فالسياح على وجه العموم يرتدون ثياباً جديدة

انيقة، اشتروها خصيصاً لعطلتهم. وجميعهم تقريباً بلا استثناء يحملون آلات تصوير. ولكن هذا الرجل لا يبدو مهاجراً من شتاء الشمال، ليس فقط لأنه بحاجة الى حلاقة، او لأنه يرتدي بنطلوناً قديماً من الجينز وحذاء رخيصاً للشاطىء مصنوعاً من القماش.

كان من الصعب تصنيف هذا الرجل في فئة معينة. لم يكن حتى بوسعها ان تخمن عمره. فبنيانه بنيان شاب. نحيل رشيق، اكثر قوة مما تكشف عنه حركاته المتراخية. كان وجهه يبدو صغيراً أيضاً عندما يبتسم. ولكن خطوطاً ظهرت حول عينيه لم ترها من قبل لدى شخص يقل عن الخامسة والثلاثين من عمره وشعره الداكن المتموج خطه الشيب فوق أذنيه وقالت:« لا اعلم ... لكنك لا تبدو كسائح وهذا كل شيء.»

« تلك رائحة طيبة.»قال لها ذلك وهي تفتح غطاء الترموس لتنبعث منه نكهة لذيذة.

لحسن الحظ كان هناك دورق آخر من عصير الفاكهة المثلج. وبذا أصبح لديها فنجانان من البلاستيك استخدمتهما ككوبين، ملأت الكوب الكبير بحساء سرطان البحر الساخن قائلة:

« انها ساخنة. فلا تحرق لسانك. تناول ما تريد من الخبز .»

قال لها وقد وضعت أمامه بقية الطعام:

« هل تتناولين وحدك عادة كل هذا الطعام؟»

« نعم – لكن لا تقلق فنحن نتناول وجبتنا الاساسية في المنزل عند غروب الشمس. ولذا يمكنك ان تقاسمني هذا بكل سرور.»

ابتسم قائلاً:

« لم يكن هذا ما اعني. فمعظم الفتيات النحيلات يعشن على ثمار الليمون وأوراق الخس.»

« أوه ! حسناً لا يمكنني التخلص من نحافتي.»

كانت شارلوت اعتادت سماع صوت أمها وفيوليت يستحثانها على الطعام، ومع انهما استسلمتا، كما يبدو، لنحولها كأمر واقع، ظلت تفكر في انها نحيفة، خاصة اذا ما قارنت نفسها مع اختها فلافيا الممتلئة الجميلة.

رفع حاجبه قائلاً:

« لا يمكنني أن اصفك بأنك نحيفة يا عزيزتي.»

كانت نبرة صوته، ونظرته اليها، نظرة تقييم معجبة متأنية، ومناداته إياها بكلمة عزيزتي، كل هذا جديد على شارلوت، جديد ومثير بشكل غريب في آن. فطريقة نشأتها المتشددة وطبيعتها القانعة عملتا على تأخير تلك اللحظة، التي تحس فيها، كفراشة حبيسة، برغبة قوية لخلع رداء طفولتها وبدء مرحلة جديدة من حياتها. لكن عندما حدق ووليام هاملتون بعينيه الزرقاوين الداكنتين، ونظر اليها كأنها فتاة ناضجة جميلة، أحدث اول تغيير لها. لم يخطر في بالها ان جاذبيته وإعجابه قد يكون فيهما زيف، فهي تعرف الكثير عن مخاطر البحر ولكن القليل عن الاشخاص الخطرين.

بعد ان تناولا طعامهما بادرته قائلة:

« انت لم تر المنزل جيداً. تعال، دعني اريك إياه.»

« ألا يمكننا ان نستريح قليلا بعد الغداء.»

« هل انت متعب؟ انا لست متعبة.»

وقف بتكاسل ثم تبعها قائلاً:
« حسناً، سآتي معك.»
« آمل ان ترى البيت في الصيف وقد توهجت أزهار الحديقة. خلف المنزل أشجار ذات أوراق مذهبة. أما تلك النباتات المتسلقة التي تحيط بالاعمدة فتأتي أزهاراً بوقية برتقالية اللون. وبينها ايضاً نبات برية وانا أنوي تشذيبها لكني لن أزيلها تماماً.»
« هل كان للجزيرة اسم آخر قبل ان تشتريها أسرة سوليفان؟»
« نعم، كانت تدعى جزيرة المانغو. اسمها ولا سيما باللهجة المحلية له رنين حزين يذكرني بأشياء تعسة حدثت منذ زمن بعيد، حروب جرت في الزمان الغابر.»
« هل هناك مكان لزوج في خططك للمستقبل.»
« زوج؟»
رددت الكلمة من بعده بذعر فقال:
« حسناً، اعتقد أنك تستمتعين بوقتك جيداً بما لا يسمح لك التفكير في الاستقرار. لكنني لن آخذها كقضية مسلم بها أن يشاركك شريك حياتك حماسك هذا. ربما يفضل العيش في مكان أكثر عصرية وحداثة.»
« ألا تحب ان تعيش هنا؟»
« ربما، اذا كان معي شخص مثلك يمسك بيدي عندما تظهر الاشباح في الليل!»
مرة أخرى أحست بالاثارة والارتباك. لم يكن لديها شك الآن في انه يعتقد انها على الاقل في عمر فلافيا، كانت تعرف في اعماقها، ان والديها لن

يوافقا على مثل هذا الرجل. ولكنها كانت تستلطفه وأحست فجأة برغبة في أن تكون أكبر سناً.
بادرها متسائلاً بعد ان دخلا المنزل:
« أتأتين الى هنا دائماً؟»
« مرة كل شهر تقريباً. وهذه هي المشكلة، فكلما شذبت النباتات نمت من جديد. امكث ساكناً لحظة. وقل لي اذا كنت تحس ان المنزل تسكنه الارواح.»
فعل كما طلبت منه، لم يقطع الصمت المطلق سوى حفيف سحلية في مكان ما وسط النباتات المتسلقة.
همست قائلة:« حسناً، ماذا ترى؟»
خفض صوته قائلاً:
« انت لا تنتظرين مني ان انفعل بالكائنات الروحية بينما انا في حضرة شقراء جميلة ترتدي رداء بحر اليس كذلك؟»
ضحك ثم جذبها اليه لم يكن هذا العناق مشبوب العاطفة كتلك العناقات التي تصفها قصص الجيب التي تهربها فلافيا الى المنزل بين حين وآخر لتقرأها في سريرها عندما لا يكون هناك احتمال ان يباغتها والدها. وبعد لحظات رفع ووليام رأسه صائحا:
« أهذه هي المرة الاولى؟»
« نعم.»
« ما عمرك؟»
قالت شارلوت بصدق:
« ست عشرة سنة... سبع عشرة تقريباً.»
أطلقها من بين ذراعيه وأخذ يضحك:
« ماذا يضحكك؟»

تساءلت في حيرة وخيبة أمل، بل في غضب أيضاً:
« ألديك فكرة كم أبلغ انا من العمر؟»
هزت رأسها نفياً:
« عندما كنت في السادسة من عمري، كنت انت في المهد. انني لست رجل مبادىء، لكنني أقف عند حد عناق فتيات المدارس الصغيرات. الافضل ان اوصلك الى المنزل، وأحذر عائلتك حتى تلاحظك بشكل أكثر صرامة يا طفلتي. تعالي معي!»
« لا يمكنك ان تفعل ذلك!»
« طبعاً يمكنني.»
« ولكنهم لا يعرفون أنني آتي الى هنا. ما من أحد يعرف ذلك . فهذا سر. ولو قلت لهم سيمنعوني .»
« كان يجب ان تفكري في ذلك من قبل.»
كان مستحيلاً ان تدخل معه في جدل او تستعطفه بينما هو يستحثها على السير وسط النباتات. ولكن عندما وصلا الى الشاطىء ارتخت قبضته على يدها وتمكنت من جذ بها.
« و لكنك وعدتني! عاهدتني بألا تقول لأحد.»
« لم أكن أعرف حينذاك كم انت صغيرة.»
« ولكن ما علاقة هذا بذاك، فالوعد وعد.»
« كلا ، اذا كنت قد حصلت عليه بناء على مظاهر كاذبة. انت تعلمين انني ظننتك أكبر سناً، أليس كذلك؟»
« نعم، لكني لا أرى أهمية لسني. لم تكن لتثير هذه الضجة لو كانت فلافيا في مكاني، وهي لم تتعد التاسعة عشرة من عمرها.»
« هناك فارق كبير بين التاسعة عشرة والسادسة

عشرة يا صغيرتي شارلوت ... انا لا اعرف من تكون فلافيا، لكنها اذا كانت في التاسعة عشرة فلا شك انها عرفت العناق وانها تفوقك إد راكاً.»
« إنها أختي، ولم يقبلها أحد من قبل. فأبي لا يسمح لها بالخروج مع الفتيان.»
« ماذا؟»
« يقول انها ما زالت صغيرة.»
« صغيرة حتى التاسعة عشرة؟ حسناً دعينا من فلافيا. أنا قلق بشأنك أنت. من المؤكد أن والديك نبهاك لتحذري الاغراب، خاصة الرجال.»
ذكرته قائلة:« أخذت حذري في البداية.»
أضاءت عينيه لمعة ذكرى فقال:
« الى أقصى حد! ألا ترين ان هناك تناقضاً بعض الشيء بين محاولتك بتر ذراعي قبل الغداء، وبين ان تدعيني اعانقك؟»
« أنا لم ادعك ... انت لم تستأذنني، كيف كان بوسعي ان امنعك؟»
قال بهدوء وقد اتسم تعبيره بالجدية مرة ثانية:
« كيف اذا كنت ستمنعيني لو اخترت الحصول على ما هو أكثر من العناق؟»
صعدت الدماء الى وجهها الذي لوحته الشمس وهي تقول:« انت لست من هذا النوع.»
« ماذا يجعلك متأكدة هكذا؟ هل لأنني لا اتحدث والطعام في فمي، وانطق الكلمات بطريقة صحيحة؟ أم لأنه يبدو علي أنني اغتسل بانتظام وإن كنت لا احلق دائماً؟ إذا كانت تلك هي مقاييسك فستنتظرك صدمات قاسية قبل ان تكبري.»

« ليست هذه هي مقاييسي، وانا لم اقصد هذا.»
« ماذا كنت تقصدين إذا؟ وماذا يجعلك تثقين بي؟»
« انا، انا لا استطيع أن اشرح لك هذا. لكني عرفت ... وكنت على حق.»
« اعتمدت يا صغيرتي على الحظ أكثر من الحكمة.»
ظلت واقفة مكانها دقائق عدة تقاوم رغبة غريبة في البكاء ثم لحقت به قائلة:
« أرجوك يا ووليام ... لا تقل لأبي. لن احتمل إذا منعني من المجيء الى هنا بعد الآن.»
« مجيئك الى هنا ليس مأموناً. فلنفرض أنك أخطأت التقدير وأحدثت فجوة في زورقك وانت تخترقين هذا الممر؟ ما من أحد سيكون هنا لينقذك، حتى لو أنك لويت كاحلك فقط. فإن هذا ستكون له عواقب وخيمة في مكان مهجور ولن يفكر أحد في البحث عنك هنا. هناك أكثر من سبب يحتم معرفة أهلك برحلاتك.»
« أوه ، لماذا جئت؟ ستفسد كل شيء الآن، لماذا لا تهتم بشؤونك فقط؟»
« اذا رأيت طفلاً رضيعاً يحبو وسط الطريق العام، هل ستتجاهلينه؟»
« تلك مقارنة ظالمة. انا استطيع أن اعتني بنفسي.»
« برهنت لتوك انك لا تستطيعين ذلك أيتها الصغيرة العنيدة.»
وضع يداً على كتفها ورفع وجهها نحوه بالاخرى قائلاً:« ربما من الافضل حتى تفهمي ان اعطيك مثالاً عما يمكن ان يحدث.»
ضغط على كتفها بأصابعه بينما انسلت يده اليمنى خلف ظهرها. وبرغم انه أفزعها في بادىء الامر فإن

خوفها منه الآن تقلص الى مجرد خوفها من ان ينفذ تهديده ويبلغ والديها.
تحول غضبه الآن الى اهتمام لا ارادي بما بدا عليها من سكينة ثم قال:« غيرت رأيي، فربما يكون من الاجدى أن ألجأ الى اسلوب تربية عتيق وأضربك.»
تراجع قليلاً ووضع يديه في جيبيه قائلا:
«أنت صغيرة جداً على الاسلوب الاول، وكبيرة على الاسلوب الثاني، سأترك الامر لوالديك. بمجرد ان نبتعد عن الجزيرة، ستأتين في زورقي ويمكننا ان نسحب زورقك. هيا بنا ... ولا تلجأي الى اي خدعة.»
ظلا صامتين معظم الطريق. وعندما اقتربا من خليج هورتينسيا قالت بجفاء:« انا أقطن في الخليج التالي.»
ولدهشتها خفف سرعة الزورق حتى يتمكن من وقف المحرك. ثم قال:« حسناً، هنا سنفترق.»
« أتقصد انك لن تأتي معي الى المنزل.»
« غيرت رأيي.»
« أوه، ووليام، شكراً لك.»
لمعت عيناها وهي تقول تلك الكلمات. بل كادت تحتضنه.
لم تفكر ان تسأله عن سبب تراجعه إلا بعد أن عادت آمنة الى زورقها.
انطلق وقال بشكل غامض لحظة افتراق الزورقين:
« ستكتشفين ذلك فيما بعد، الى اللقاء.»
اتجهت صوب الدار وهي تحس بالحيرة إزاء ما تعنيه كلماته تلك، وتسأل نفسها ما اذا كانت ستراه مرة ثانية.

هبط الليل عندما كانت أسرة مارتن تنتهي من وجبتها المسائية، رفعت شارلوت وفلافيا بقايا الطعام عن المائدة، وحملتا الاطباق الى المطبخ الذي كان في مبنى منفصل عن المنزل. وبرغم ان فيوليت لم تكن تعارض إن تركتا مهمة غسل الاطباق لها حتى الصباح، إلا أن والدهما لم يكن يسمح بمثل هذا التواني. فهو لا يوافق على تشغيل الخدم في مهام يمكن للمرء أن يقوم بها بنفسه، ويرى أن الاحتفاظ بخادمة وسط أسرة فيها فتاتان ناضجتان تشاركان زوجته في الواجبات المنزلية أمر غير ضروري بل مؤسف أيضاً.

كانت هيلين مارتن قلما تعارض زوجها، ولكن بعد مرضها الذي جعل استخدام فيوليت ضروريا، أصرت على الاحتفاظ بها، ليس فقط مراعاة لمصلحتهم ولكن ايضا لانها كانت تعلم ان فيوليت المرحة لم تكن لتقوى على تحمل الضغوط التي يفرضها عليها تزمت زوجها القاسي. كانت تحب زوجها، ولكنه لم يكن رجلا سهلا.

وبمجرد ان وصلت الفتاتان الى المطبخ، وأصبحتا بعيدتين عن سمع من في المنزل، انطلقت فلافيا من دون تفكير:« لن تتصوري ما حدث اليوم.»

اثناء العشاء، كانت شارلوت مستغرقة في التفكير في أحداث يومها حتى انها لم تستشف اي أثر لحماس مكبوت في سلوك شقيقتها.

« سأذهب الى حفل راقص!»

« حفل راقص؟»

رددت شارلوت هذه الكلمات بدون أدنى تعبير. فلم

تذهب أي منهما الى حفل راقص على الاطلاق. لأنهما لا تختلطان اجتماعيا مع نوع الاشخاص الذين يقيمون حفلات راقصة.

« كنت أتمنى أن يكون لدي شيء انيق ارتديه، لكني اعتقد ان ثوبي الازرق سيكون مناسبا، فجون يقول إن الحفل لن يكون رسميا. أوه، كنت أتمنى أن تلتقي به يا شارلي. إنه جذاب للغاية.»

« أين التقيت به؟»

« في القرية. كان يتسكع وحده، ولكنه هنا مع مجموعة من السياح تطوف البحر في يخت. ان يختهم يرسو بالقرب من سولت بوينت. اعتقد انه يخت كبير.»

« ما موعد هذا الحفل؟ تعرفين ان ابي لن يسمح لك بالذهاب.»

« الليلة، وأنا لن أستأذن ابي. سئمت من معاملتي كطفلة. اريد أن ألهو قليلا مثل باقي الفتيات، بمجرد ان يخلد الجميع الى النوم، سأتسلل من النافذة.»

« فلافيا، من المستحيل ان تفعلي ذلك! إذا عرف ابي سيغضب، انه ... ولا أعرف ماذا يمكن ان يفعل.»

« لن يعرف، كيف سيتسنى له ذلك؟ هو يأتي الى غرفة نومنا بعد ان نذهب الي النوم.»

« افترضي ... افترضي ان البيت شب فيه حريق. حين ذاك سيكتشف الامر.»

« أوه، لا تكوني ساذجة يا تشارلي. لن يشب حريق في البيت. على كل حال انا لا أرتكب جريمة. لو لم يكن ابي سخيفا بعض الشيء لما اضطررت للتسلل خارج المنزل.»

« فلافيا! كيف تقولين هذا؟»

« لأن هذه هي الحقيقة، وانت تعرفينها. انا لا أقول أنه فقد صوابه بالفعل ولكنه ليس شخصا طبيعيا. فلولا أمي ما كنا حصلنا على اي قدر من الحرية. انها لا توافق على افكاره الغريبة. قد لا تقول هذا، لكني أعرف أنها لا تتفق معه. هي استمتعت بوقتها عندما كانت في مثل سني. لم يمنعها والدها من العمل او الخروج مع الفتيان او استخدام ادوات التجميل. اما ابي فيكرر ان مكان المرأة هو بيتها. ولكن كيف لي ان أتزوج بينما ليس مسموحا لي أن التقي بالفتيان؟»

« سيسمح لك بالخروج مع شخص مهذب.»

« ولكن جون شخص مهذب بالفعل. إن مفهوم ابي عن الشخص المهذب هو ألا يدخن، ولا يرقص، و لا يقبل أية فتاة إلا اذا كانت خطيبته. ومثل هؤلاء الفتية لا يوجدون الآن، وان وجدوا فأنا لا أريد واحدا منهم.»

عندما عادتا الي المنزل، كانت أمهما تحيك الصوف بينما كان والدهما ينتظر عودتهما ليقرأ لأولاده كعادته دائما في الفترة ما بين العشاء ووقت النوم. كان الكتاب الذي يقرأه لهم الآن بعنوان سلوك الحياة.

حين كانت هيلين ترمق وجه ابنتيها لم تكن لتنخدع بما يظهر عليهما من تركيز. فقد كانتا ترقبان والدهما ولكن لا تستمعان اليه.

كان هناك وقت، عندما كانتا أصغر، لم تحسا بشيء غير عادي أو محافظ في أسلوب حياتهما، كانتا حين

ذاك تستمعان مشدوهتين الى صوت أبيهما العميق المسرحي وهو يقرأ لهما القصص.

ولكنه أخيرا عمد الى قراءة كتب ذات مضمون فلسفي لا تلطفه الاحداث او المغامرات. كان الصبيان يتململون بينما لجأت الفتاتان الى أحلام اليقظة. بل أن هيلين نفسها كانت تجد أفكارها شاردة.

عندما تزوجا كان رافاس يعمل ناظر مدرسة. وبعد ولادة شارلوت بقليل ورث ميراثا غير متوقع. فقرر مغادرة انكلترا، ليبحث عن مكان يستطيع فيه هو وهيلين ان يهربا من ضغوط مجتمع تتصاعد فيه المادية، ويبنيان سويا مدينتهما الفاضلة. ولأنها كانت تحبه ولا تأبه إلا بسعادته، تجاهلت هيلين اعتراضات أهلها وأصدقائها. فيا لها من راحة ان تراه مرة ثانية في حالة معنوية مرحة، ولذلك كانت على استعداد لأن تتبعه الى اي مكان.

وهكذا قدما الى جزر الهند الغربية. وطوال عشر سنوات لم يحدث اي صدع جوهري في سعادتهما. كانت تشعر بالوحدة أحيانا، فقد كان رافاس يرفض الاختلاط مع بقية المستوطنين الاوروبيين، ولكن مناخ الجزر المثالي، مع مناظرها الخلابة عوضها الى حد ما عن هذا النقص. أثناء تلك الفترة نشر رافاس عددا من الكتب الاكاديمية عن تاريخ الجزر، وكان دخل هذه الكتب كافيا لتغطية النفقات المعتدلة لحياتهم في الكاريبي.

بدأت هيلين تقلق عندما بلغت الفتاتان سن المراهقة. تلقتا تعليمهما على يد أبيهما في المنزل. كانتا على الدرجة نفسها من التعليم مثل الاطفال الذين

يلتحقون بالمدرسة إن لم تكونا أفضل. ورغم ان رافاس كان يؤمن بتعليم المرأة فانه يعارض بشدة توظفها الذي كان في رأيه يتعارض بالضرورة مع دورها التقليدي القيم كزوجة وأم. واعلن عزمه على ان يبقي الفتاتين في المنزل حتى تتزوجا ولم تنجح حجج هيلين في جعل آرائه أكثر اعتدالا.

« لكن ماذا سيصبح من أمرهما إذا حدث لنا شيء قبل ان تتزوجا؟»

« هذا افتراض غير محتمل يا عزيزتي. فأنا اتمتع بصحة جيدة وأتوقع ان احيا لسنوات مقبلة كثيرة.»

« من حسن الحظ اننا انتهينا من هذا.»

قالت فلافيا وقد تنفست الصعداء وهي تأوي الى حجرة نومها مع شارلوت. فأسرة مارتن تخلد الى النوم في ساعة مبكرة وتستيقظ مع الفجر.

« يمكنني الآن أن أستعد للحفل.»

« فلافيا، لا تذهبي ... أرجوك ... لا تذهبي.»

« تشارلي، لا تقلقي.»

وقفت أختها على اطراف أصابعها ومدت يدها لتسحب من فوق خزانة الملابس صندوقاً كرتونياً أفرغت محتوياته على الفراش.

تساءلت شارلوت في دهشة:« من اين جئت بهذا؟»

« لقد أشتريتها واحدة تلو الاخرى على مراحل بعيدة. كنت أعرف أنه ستحين الفرصة لاستعملها عاجلاً ام آجلا.»

تناولت فلافيا مرآتهما الصغيرة المعلقة على الحائط وأسندتها على مجموعة من الكتب. ثم أحضرت صورة فوتوغرافية منتزعة من إحدى مجلات الأزياء

التي لا يرونها إلا عند ذهابهم الى طبيب الاسنان. كانت صورة لوجه فتاة، أما الكلمات التي كتبت تحت الصورة كانت تقول البشرة هذا الشتاء شاحبة، العينان واسعتان بأهداب كثيفة. الشفتان مغريتان. تلك هي السمات الاساسية لوجهك في السهرة هذا الموسم.

« ما من شيء يجعلك تبدين شاحبة هكذا.»

« كلا، ولكني أستطيع أن أحاكي عينيها، كما ان إصبع أحمر الشفاه الذي لدي هو من اللون الذي تستخدمه ... اسكتي يا شارلوت فأنا اريد ان أركز.»

جلست شارلوت القرفصاء على فراشها ولم تتكلم إلا بعد ان انتهت اختها من التزين.

« في اية ساعة ستعودين؟»

« لا أعرف. ليس قبل منتصف الليل، وربما بعد ذلك.»

« كوني حذرة.»

نصحتها شارلوت ولكن فلافيا لم تكن مصغية اليها ودمدمت قائلة وهي تنظر الى الساعة:

« أوه انظري كم الساعة الآن! جون سيكون في انتظاري. الى اللقاء يا تشارلي. لا تقلقي سأستمتع بوقتي وسأقص عليك كل شيء في الصباح.»

ولكن شارلوت لم تتمكن من ان تمنع نفسها من القلق، ولم يكن مجرد خوفها من انفضاح الامر هو الذي جعلها في قلق وتوتر. فهي من وقت لآخر تلمح هذا النوع من الناس الذين يطوفون البحار في يخت كبير فخم، ولذا كان لديها شك غير مريح من أن فلافيا قد تجد في الحفل محنة اكثر مما تجد متعة.

www.liilas-romancia.com

لم يكن قد مضى على ذهابها أكثر من ساعة عندما ارتعدت شارلوت حين ومض خيال عبر عتبة النافذة المضاءة بأشعة القمر.

« فلافيا! لم أتوقع عودتك قبل ساعات.»

تسلقت فلافيا النافذة ودخلت الغرفة لترتمي على الفراش وتنفجر باكية.

« ماذا حدث؟ أوه، اخفضي صوتك، ستوقظين امي وأبي.»

دفنت فلافيا وجهها في الوسادة، بينما كان جسمها كله يرتعش بنحيب مكتوم. وعندما وضعت شارلوت يدها على كتفها، اشاحتها بعيداً، ورفعت رأسها لتنفجر في صوت مخنوق:

« ابعدي عني! دعيني وشأني. ان هذا نتاج غلطتك.»

« انا؟ ماذا فعلت؟ عم تتحدثين؟»

قالت بحدة وقد نسيت أن تخفض صوتها:

« كنت تتظاهرين بالقلق لذهابي الى الحفل. بينما لم تنبسي ببنت شفة عما فعلت. أليس كذلك؟ لم تحذريني من أنك سردت تاريخ أسرتنا بالكامل على شخص غريب عنا تماماً. ماذا تظنين كان شعوري عندما سألني ذلك الرجل المتوحش ما اذا كنت أختك. جعلتني أظهر كالبلهاء أمام الجميع؟ لم أشعر بمثل هذا الذل من قبل! فللمرة الاولى في حياتي كنت سأستمتع بوقتي، وقد حطمت كل شيء!»

وأمام تخبطها بين الغضب والاحباط أسلمت نفسها لموجة ثانية من البكاء.

الفصل الثالث

صاحت شارلوت بوجه أختها:

« لقد استيقظوا. فهناك شخص قادم. اسرعي! ادخلي في الفراش.»

برغم ضيقها، لم تكن شارلوت بحاجة الى ترديد هذا الكلام مرة ثانية، وبسرعة البرق كانت فلافيا تحت أغطية الفراش. وبالكاد كان هناك وقت لتقفز شارلوت في فراشها قبل ان ينفتح الباب.

لم تكن أمها هي التي جاءت لتحدق فيهما وقد رقدتا ساكنتين بصورة غير طبيعية بدون أدنى حركة. فتحت شارلوت عينا واحدة لترى أخاها الصغير وقد وقف فوق رأسها فأطلقت زفرة ارتياح!

« كيث! ماذا تفعل هنا؟»

« سمعت أحداً يبكي. ماذا هناك؟»

« بالتأكيد كنت تحلم. فلافيا نائمة، وأنا لا أبكي.»

« ولكنني سمعت بكاء. أنا واثق من ذلك.»

« هراء عد الى فراشك.»

نهضت شارلوت من فراشها واوصلته الى غرفتها. كانت تحب كل اخوتها، ولكن كيث كان حملها الوديع، كان شقيقها المفضل.

« لم يكن ما سمعت حلماً.»

قالت شارلوت وهي تدس أطراف الغطاء تحته.

« اسكت ستوقظ الآخرين. نم جيداً.»

انحنت لتقبله فتلقت في المقابل عناقاً حميماً وهو يقول:

« تصبحين على خير يا عزيزتي تشارلي.» زل لسانه بهذا التدليل لانه كان يشعر بالنعاس. فقد كان يناديها هكذا عندما كان صغيراً وقد اشتق اسم التدليل هذا من أغنية اسكتلندية عن الفارس الصغير.

عندما عادت شارلوت كانت فلافيا قد خلعت ثيابها. فالرعب الذي سببه لها كيث نجح في تهدئتها.

جلست شارلوت على حافة فراش أختها قائلة:

« فلافيا، أنا آسفة لما حدث. ولكن كيف كان لي أن أعرف ان ووليام هاملتون له علاقة بمعارفك أصحاب اليخت؟ لم يكن يبدو عليه أنه سائح غني. وأنا لم أخبرك عن لقائي معه لأنك كنت في حالة انفعال شديد بشأن الحفل. ظننت انك لن تهتمي بهذا الموضوع الا بعد عودتك.»

« اين التقيت به؟»

« أوه ... على بعدأميال قليلة من الساحل.»

« انت تعرفين أنه ما كان لك ان تتحدثي مع أغراب.»

« ولكنك تحدثت مع جون.»

« هذا وضع مختلف. فجون يقربني سناً. أنا لم أكن لأصادق رجلا في سن هاملتون هذا. فبوسع أي شخص أن يرى كم هو كريه.»

« كريه؟ لماذا تقولين هذا؟»

« أظن انك استلطفته؟»

« ليس في بادىء الامر. ولكني استلطفته فيما بعد.»

« ما كنت ستفعلين ذلك لو انك رأيته وهو يتصرف بحماقة مع تلك المرأة.»

« يتصرف بحماقة؟ ماذا تعنين؟»

« كانا يرقصان معاً، وكانت تحيط عنقه بذراعيها، بينما كان هو يهمس شيئاً في أذنها... بل انني رأيته يقبلها – أمام الجميع. وكانت هي التي جعلته يلحظني. فقد قالت له شيئاً عني ... أعتقد أنها كانت تهزأ بثوبي. وهي ترتدي ثوباً من الحرير الشيفون وكثيراً من المجوهرات. بعد ذلك ظل يحدق بي، ثم طلب من جون أن يقدمه الي. وبمجرد أن سمع اسمي قال:« أأنت شقيقة شارلوت؟» ثم سألني اذا كان والدي يعرفان بمجيئي. كنت – كنت أود ان تبتلعني في تلك اللحظة عاد جون ومعه كوب شراب لي. ولكن هاملتون هذا رفض أن يتركني أتناوله وشربه هو. وعندما غضب جون دفعه الى أحد المقاعد وجذبني من ذراعي ليعيدني الى المنزل، قائلاً لتلك المرأة «تارا»، « سأعيد هذه الطفلة الى منزلها فقد تأخرت عن موعد ذهابها الى الفراش.» هذه الطفلة! يا له من جبان حقا! وفي تلك اللحظة كان الجميع يحملقون بي!»

« كان محقا، فقد تأخرت فعلاً عن موعد ذهابك الى الفراش. ولا اعتقد أنك تصفينه بأنه كريه لمجرد انه استنتج أنه ليس من المفروض ان تكوني في مثل هذا المكان.»

« ليس هذا هو كل ما هناك، فقد عانقني !»

اتسعت عينا شارلوت وهي تقول:« ماذا؟»

لقد قال: والآن – تعرفين ما هو العناق. فلا تدعي فضولك يقودك الى التهلكة مرة أخرى. لو لم أكن قد التقيت بأختك، ربما كنت ستندمين على مغامرتك الطائشة هذه. ماذا كان يعني بقوله هذا؟»

« اعتقد انه يقصد انه لو لم أكن قد ذكرت اسمك، لم يكن سيتعرف عليك، وأنك ما كان يجب ان تذهبي الى هناك.»

« كيف عرف هذا؟ من المؤكد أنك قلت له أكثر من اسمي.»

« قلت، انه رغم انك أكبر مني سناً، ابي لا يسمح لك بالخروج مع الفتيان.»

« قلت هذا لشخص غريب؟ أكيد أنك جننت. ليس من حقك ان تناقشي حالتي.»

« لم أفعل ذلك تماماً. جاءت هذه السيرة صدفة استطراداً لشيء كان يتحدث عنه.»

« كنتما تتبادلان حديثاً ذا طبيعة خاصة. هل لي ان اسأل ماذا كنتما تناقشان؟»

أدركت شارلوت ان عليها أن تقول لفلافيا الحقيقة. وبدون ان تكشف لها عن مكان لقائها بهاملتون شرحت لها كل شيء وكيف انه عانقها ايضاً. ظناً منه انها اكبر سناً من حقيقتها.

استشاطت فلافيا غضباً من هذا الاعتراف:

« تشارلي! يا لهِ من امر فظيع بالنسبة اليك!»

« لم يكن فظيعاً. بل ارتحتِ الى ذلك العناق.»

ارتعشت فلافيا اشمئزازاً لاستعادتها هذه الذكرى قائلة:

« حقاً ارتحت؟ أما أنا فقد كرهتها. حسناً، ان هذا يثبت كم هو شخص سيء. فما من رجل مهذب يقدم على عناقك وعناقي وعناق تلك المرأة في يوم واحد.»

كانت هناك لحظة صمت قبل أن تقول شارلوت:

« أنا تعبة، سأنام، تصبحين على خير.»

ولكن برغم الساعة المتأخرة والتوتر غير المعتاد الذي تعرضت له طوال اليوم، مر وقت ليس بقليل قبل ان تتمكن من النوم. كان آخر ما تفكر فيه عادة قبل ان تغمض عينيها هو منزل جزيرة سوليفان، الذي ستملكه، ولكن الليلة لم يكن بوسعها أن تفكر في المنزل بدون ان تفكر في وليام هاملتون.

هل كانت فلافيا محقة؟ هل هو حقاً رجل سيء؟ ومن هي تلك المرأة التي تدعى تارا؟

ولراحة بال الفتاتين، لم يشر كيث مارتن صباح اليوم التالي الى ما ازعجه في نومه الليلة الماضية. بعد الافطار أعطى الوالد الاولاد الثلاثة دروسهم. أما شارلوت فقد أعفيت من هذا الروتين منذ عيد ميلادها السادس عشر. إلا انها حتى الآن ينبغي عليها ان تخصص بضع ساعات كل اسبوع للدراسة، و لكنها أعطيت حرية اختيار مكان وزمان إنجاز تلك المهمة ما دامت تقرأ الكتب التي يختارها لها والدها. وحتى يضمن انها لا تهمل واجبها كان رافاس يضع لها امتحاناً كل شهر تقريباً او يطلب منها كتابة يبحث في موضوع دراستها الحالي.

* * *

بعد تناول وجبة الغداء، اصطحب رافاس أولاده الثلاثة وذهبوا الى المكتبة العامة في العاصمة. وبينما كانت أمها وفلافيا منشغلتين ببعض الاصلاحات المنزلية، انسحبت شارلوت الى أقصى الشرفة لكتابة مذكراتها. رفعت رأسها وتطلعت صوب

البحر عندما شدها أزيز بعيد لصوت محرك. كان هناك زورق سباق قرمزي يعبر وسط مياه الخليج مقبلاً من ناحية سولت بوينت.

ومع ان عينيها سجلتا بريق ذلك اللون الزاهي كان عقلها مستغرقاً للغاية. مرت بضع لحظات قبل ان تعود الى الحاضر، وفي نفسها ادركت ان الزورق حوّل مساره وبدأ يلف في خط شبه دائري واسع لينتهي بالقرب من مرفأ عائلة مارتن.

« ترى من هذا؟»

تساءلت هيلين مارتن بعدما أصبح جلياً أن زائراً قادماً نحوهم.

ولكن ما من واحدة من بناتها تطوعت للاجابة، أما هي فلم تلحظ التعبير الذي علا وجهيهما والذي يؤكد أنه كان بوسعهما أن تفعلا ذلك.

وبينما كان وليام يقترب من المنزل رأت أنه كان حليق الذقن اليوم وأنه يرتدي قميصاً وسروالاً ملتصقين بجسده بطريقة تختلف عن ملابس أبيها وأخوتها.

وصل الى حافة الشرفة وقد بدا عليه أنه لم يلحظ الفتاتين. وجه ابتسامته لهيلين التي نهضت في حيرة لتحيته، ثم قال:

« مساء الخير. هل انت السيدة مارتن؟ أعرفك بنفسي، اسمي هاملتون.»

مدت يدها لمصافحته وقالت في تردد:

« كيف حالك؟ زوجي ليس في المنزل الآن أظنك جئت لرؤيته؟»

« نعم – كنت آمل أن أراه.»

« أخشى أنه لن يعود سريعاً. أيمكنك أن تحضر غداً؟ هل هناك رسالة يمكنني ابلاغه اياها؟»

« انا لست هنا لمهمة معينة يا سيدة مارتن. انها مجرد زيارة اجتماعية.»

« أوه!»

للحظة وقفت هيلين مأخوذة. منذ زمن لم يأتيهم زائراً فأحسّت بالاضطراب.

« ربما جئت في وقت غير مناسب؟»

« أوه كلا، كلا على الاطلاق. تفضل بالجلوس. كل ما في الامر اننا لا نرى كثيراً من الناس فظننت...»

جمعت شتات نفسها ثم استطردت قائلة:

« هذه هي فلافيا ابنتي الكبرى.»

« كيف حالك يا آنسة مارتن ؟»

كانت شارلوت قد تركت مقعدها فلم يمكنها ان ترى وجه أختها هذه اللحظة ولكنها كانت ترى وجه وليام، لم يكن في تعبير وجهه ما يدل على انه ليس بحاجة الى هذا التعريف.

ثم قالت هيلين قبل ان تعرّفه بشارلوت:

« فلافيا، اذهبي وابلغي فيوليت ان لدينا زائراً؟ ماذا تفضل يا سيد هاملتون؟ قهوة أم شرابا باردا؟»

« شراب بارد لو سمحت.»

وبينما كانت فلافيا تجري الى الداخل واصلت السيدة مارتن كلامها:« وهذه شارلوت.»

لم يمد وليام يده هذه المرة ولمعت عيناه الزرقاوان باهتمام واضح وهو يقول:

« مرحبا مرة ثانية، لقد التقيت أنا وشارلوت من قبل.»

لاح الفزع على هيلين وهي تقول:
« هل التقيتما من قبل؟»
« نعم ... بالامس، وجدتني اعتدي على أحد شواطئها المفضلة في البداية أظهرت ضيقها لكنها لانت فيما بعد وسمحت لي ان أقاسمها غداءها.»
لم تسأل هيلين عن سبب تجاهل شارلوت ذكر تلك المقابلة. فهي تعرف السبب. اذا كان السبب نفسه الذي تحسه الآن حين تفكر انها ستضطر لأن تقول لزوجها عن زيارة السيد هاملتون، سيكون عليها ان تواجه استياءه بل ربما غضبه لما قد يعتبره اقتحاما غير مبرر لحياته الخاصة. ولكنها أبعدت ذلك القلق لشعورها بالغبطة في التحدث مع زائر ما ... اي زائر.
« هل جئت لتقيم هنا يا سيد هاملتون.»
« لم أحضر بهذه النية. ولكن الخاطر مر بعقلي. أعتقد أنك أقمت هنا عدة سنوات؟ فهل تنصحينني بذلك؟»
« المناخ هنا رائع، والجزيرة في غاية الجمال والهدوء. ولكن هناك بعض السلبيات.»
« ما هي؟»
« أعتقد ان السلبية الاساسية هي صعوبة حصولك على دخل يغطي نفقات الحياة. ولذا كان من الصعب على ذلك النمط من الناس الذي يفضل الهجرة الى استراليا او كندا على ان يأتي الى هنا. فلا توجد فرص عمل تكفي لتغطية حاجات السكان الاصليين. فجزر الهند الغربية تناسب فقط الاثرياء، او قلة، التي على شاكلتنا وترضى بحياة بسيطة. زوجي كان يعمل ناظر مدرسة. أما الآن فهو كاتب، ولذا يمكننا أن نقيم في المكان الذي يحلو لنا.

هل انت ايضاً حر بهذا المعنى يا سيد هاملتون.»
« نعم بكل المعاني.»
« أليس لك أسرة ترعاها؟»
« كلا. لا أحد غيري.»
« في هذه الحالة، ألن تشعر بقدر من الوحدة هنا؟ إن هناك الكثير لتفعله طوال النهار ولكن المكان يصبح هادئاً للغاية بعد غروب الشمس. أعتقد أن باربادوس او ترينيداد قد تتناسب أكثر مع حياة الاعزب.»
« نعم معك حق. كما قلت لك انا لم اعط هذه الفكرة تفكيراً جاداً بعد.»
« أين تقطن الآن يا سيد هاملتون؟»
« ليس لي منزل. نشأت في انكلترا ولكنني قضيت معظم سنوات حياتي بعد بلوغي سن النضج في الترحال.»
« أوه، حقاً؟ يا له من شيء مثير.»
انتظرته حتى يكمل حديثه، ثم ترددت في ان تستحثه عندما لم يفعل ذلك. أما شارلوت فقد كانت أقل حياء في رغبتها إرضاء فضولها فقالت:« هل اليخت ملكك؟»
« اليخت .»
بعد فوات الاوان تذكرت انها لم تعرف بأمر هذا اليخت إلا بسبب تسلل فلافيا خارج البيت، فاستطردت:
« اشرت اليه في حديثك أمس.»
« حقاً لا أذكر. لكن هذا اليخت ليس ملكي، انه ملك تارا مونتيفالكو ... الاميرة مونتيفالكو.»
« الاميرة مونتيفالكو؟ هل تعني أنها أميرة حقيقية؟»

« هذا يعتمد على ما تعنيه أنت بكلمة حقيقية، فمونتيفالكو هو لقب من بين مئات الالقاب الايطالية الغامضة. انها اليوم مجرد اسماء، اكتسبت تارا هذا اللقب عن طريق الزواج.»

تذكرت شارلوت ما قالته لها فلافيا عن وليام وتارا فتساءلت:« وأين الامير مونتيفالكو؟ هل هو معكم على اليخت أيضاً؟»

« كلا، انه في مكان ما في أوروبا، فهما منفصلان.»

عادت فلافيا وهي تحمل أكواب عصير الليمون. وعندما وقف وليام رمقته بنظرة عصبية عدائية. غمز اليها فصعدت الدماء الى وجهها. ولكن هيلين لم تلحظ غمزة العين ولا احمرار الوجه. أما شارلوت فقد لاحظتهما.

وثقت أنه لن يخون أيا منهما ويكشف أمرها. و لكن في هذه الحالة ترى لماذا جاء؟ مكث قرابة نصف ساعة تحدث في معظمها مع أمها. وعندما نهض ليرحل سار معه الجميع حتى المرفأ. لم يصافح شارلوت ولكنه ربت على كتفها وكأنها في عمر كيث قائلاً:

« وداعاً يا صغيرتي شارلوت. شكراً لدعوتي الى الغداء. ولكن الافضل ألا تكرري الدعوة.»

وعندما اختفى الزورق عن الانظار قالت شارلوت لامها:

« أرجو ألا تكوني غاضبة لأني تحدثت معه بالامس؟»

« كلا ... ولكن ليس من الحكمة ان يكون المرء ودوداً بهذا الشكل مع الاغراب. هل استلطفته؟»

« لم أكرهه.»

« يبدو انه مشتت.»

أضافت هيلين تلك الكلمات الاخيرة وهي تفكر بصوت عال.

« تماماً – تلك هي الكلمة التي كنت أبحث عنها بالامس كنت أعرف ان هناك كلمة تصفه تماماً.»

« هل انت متأكدة أنك تعرفين معنى هذه الكلمة يا عزيزتي؟»

« بالطبع، فأنا اذا لم اعرف معنى كلمة ابحث عنها في القاموس. ومشتت تعني مسرف وغير مستقر. ولكنها عادة تستخدم لوصف الاشخاص ... الاشخاص الذين يبددون حياتهم.»

أخفت أمها دهشتها. فكانت تظن ان شارلوت مازالت صغيرة على القيام بعملية ربط بين ما تقرأ في الكتب وبين الناس الذين تلقاهم في الحياة. كانت هيلين تشك في ان ايا من ابنائها ابتعد عن تفهم أمور الحياة كما كان يريد لهم والدهم. ورغم وعيها هذا كانت مفاجأة لها ان تدرك ان شارلوت التي تبدو غاية في البراءة بوسعها ان تكون رأيا صائبا بالنسبة الى شخصيات البشر.

« هل ستقولين لأبي عن مجيئه؟»

« هل هناك سبب يمنعني من ذلك؟»

« كلا ... بالتأكيد. ولكنه لا يحب الاغراب عادة ... واعتقد ... حسنا اعتقد أن معرفة الناس أمر مثير للاهتمام.»

« و لكني لا أظن أن السيد هاملتون أو رفاقه يجدون فينا شيئا يثير اهتمامهم. وأشك في انه سيزورنا مرة أخرى ولذا فليس من الاهمية في

شيء ان يستلطفه والدك أم لا. هيا بنا الى عملنا.»
ولكن عند عودتهما الى الشرفة لم يكن من السهل علي اي منهما ان تركز في العمل الذي أوقفه مجيء هاملتون. فجلست شارلوت ترسم بقلمها وتفكر في أصحاب اليخت وخاصة تارا مونتيفالكو. أما هيلين فكانت تشعر بالقلق. مع انها كانت تتوقع، وتتهيب في آن واحد، مجيء الوقت الذي يبدأ فيه ابناؤها الاعتراض على آراء رافاس، لم يتخيل اليها أن تأتي أول بادرة لعدم الارتياح من ابنتها الصغرى.
كانت تتوقع ان فلافيا ستكون اول من سيتمرد، ليس لانها كبرى ولكن ايضاً لأنها لا تتفق مع أبيها كثيراً. فرافاس كان يريد ان يكون كل أولاده ذكوراً وجاء مولد فلافيا خيبة أمل كبيرة له. ثم صار يفضل شارلوت لأنها أكثر ذكاء ولا يجهد نفسه كثيراً لاخفاء هذا التفضيل.
ولكن عندما عاد الوالد لم تبلغه هيلين بأمر الزائر. فقد بدا غريباً وعلى غير عادته وكانت نظرة واحدة في وجهه كافية لأن تنسيها كل شيء.
وبعد ان دلف الى غرفة نومه ومن ورائه أمها بادرت شارلوت اخوتها متسائلة:
« ماذا حدث؟»
أجابها روب قائلاً:
« لا اعرف، كان في صحة طيبة حتى وصلنا الى منتصف طريق العودة. ثم فجأة أحس بألم فظيع.»
وأضاف بيتر قائلاً:
« كان وجهه متقلصاً ولا يقوى على الكلام. كان ذلك شيئاً فظيعاً.»

ركضت شارلوت نحو غرفة والديها وتساءلت:
« هل أذهب لاحضر الطبيب؟»
انبرى رافاس قبل ان تتكلم زوجته قائلاً في غضب:
« لست في حاجة الى طبيب. لو جئتم به فلن ألقاه. اتركوني في سلام. لا داعي للقلق ودعوني أستريح.»
عندما ذهبت الفتاتان لتناما تلك الليلة تساءلت قائلة:« ما تصورك عن سبب مجيئه؟»
« مجيء من؟»هكذا ردت شارلوت شاردة الذهن. فقد كانت قلقة بشأن ابيها.
« هذا الرجل الذي يدعى هاملتون، من سيكون اذن؟»
«« ليس لدي ادنى فكرة. هل هذا امر هام؟ كنت أتمنى أن يسمح أبي بمجيء الطبيب. فهو يبدو مريضاً جداً.»
« لن يفيده ان يفقد اعصابه – وهذا ما سيحدث إذا ما جاء الطبيب من دون إذن منه.»
« ولكن ليس من العدل بالنسبة الى أمي. فهي قلقة الى حد المرض.»
« انا لم اتفهم أبداً السبب الذي جعلها تتزوجه.»
صاحت شارلوت في فزع:« فلافيا.»
«حسناً هل تتفهمين ذلك انت؟ انه لم يحاول ابداً أن يجعلها سعيدة. أما هي فعليها أن تفعل دائماً ما يريد ... علينا جميعاً ان نفعل ذلك.»
« اوه، اسكتي. كيف لك ان تكوني بهذه الفظاعة؟ إن ابي مريض، وكل ما تقلقين بشأنه هو انك لا تفعلين ما تريدين.»
أدارت كل منهما ظهرها للأخرى. ولم تتبادلا كلمة واحدة بعد هذا.

بدا رافاس مارتن في اليوم التالي وقد استعاد صحته تماماً. فارتاحت فلافيا والاولاد الثلاثة عودته الى طبيعته ولم يفكروا في الامر مرة ثانية أما هيلين وشارلوت فما زال يساورهما بعض القلق.

وبعض مضي ثلاثة ايام رأت شارلوت زورقاً ينطلق عبر الخليج. أثارت رؤيته فضولها من جديد وقررت أن تذهب لمشاهدته.

كان الشاطىء خاويا. جلست شارلوت تستظل تحت النخيل، وقد احاطت ساقيها بذراعيها وهي تحدق في المركب الابيض الضخم الذي بدا مهجوراً. لم يكن الزورق مربوطاً بالسلم المتدلي من جانب اليخت مما أوحى بأن الاميرة مونتيفالكو وضيوفها خرجوا في جولة استكشافية.

خلعت شارلوت ثوبها الذي كانت ترتديه فوق رداء البحر الازرق الباهت ونزلت تستحم. في بادىء الامر لم تكن لديها نية للاقتراب من اليخت. ولكن بعد ان مكثت في المياه ولم تظهر أية حركة فوق سطح اليخت لم تستطع المقاومة ودنت حتى أمسكت بالسلم وبعد لحظات كانت قد وصلت الى قمته.

وبينما هي واقفة على السلم في تردد سمعت صوتاً يقول:« مرحبا ... من انت؟»

كادت شارلوت تسقط عن السلم فزعاً، فحتى لو كان لها حق الدخول الى هذا المكان لكان الصوت قد افزعها. لقد كانت واثقة تماماً من ان احداً لم يكن في اليخت.

ناولها منشفة قائلاً:

« تناولي هذه، رأيتك من قمرتي وأنت تقتربين. كان

منظرك ساراً للغاية. هذا اليخت أصبح طوقاً لنجاة الغرقى. تعالي الى السطح حيث الشمس وسأعد لك شيئا لتشربيه. اسمي جون. وأنت؟»

« تش ... شارلوت.»

« شارلوت؟ ألست شارلوت مارتن؟»

أومأت برأسها. تراجع الشاب خطوة الى الوراء يرمقها من أسفل الى أعلى بابتسامة قائلا:

« إذن انت الاخت الصغرى لفلافيا؟»

لم تسترح شارلوت للطريقة التي كان يفحصها بها فلفت المنشفة حول نفسها مسرورة لكونها غطتها حتى ركبتيها.

سألته في عبوس:« ماذا يضحكك؟»

« أعطانا وليام صورة عنك معتبراً انك مجرد طفلة. ظننا من الطريقة التي تحدث بها عنك، انك في العاشرة من عمرك تقريبا. حقا سأرد له هذه الدعابة في المستقبل، وبالنظر الى سمعته توقعت انه ينوي شيئا عندما اثار هذه الضجة حول مجيء أختك. ثقي أنه يتعقب الصيد الامثل ويلزم الصمت تماما بشأنه.»

أخذت كراهية شارلوت له تتصاعد مع كل كلمة:

« ماذا تعني بقولك « بالنظر الى سمعته»؟»

« حسنا، لا أخالك تصورته من فتيان الكشافة؟ اختك تبدو بطيئة الفهم قليلا، اما انت فأكثر ذكاء.»

« يا لك من فظ! كان فعلا غباء من فلافيا ان تعجب بواحد مثلك.»

« آسف، لم أقصد الاهانة، فأنا استلطف أختك. ولكن ما ذنبي اذا استلطفتك أنت أكثر؟ تعالي لتشربي شيئا ونصبح صديقين.»

« كلا، شكراً، جئت لأرى وليام، اذا لم يكن موجوداً فلن انتظر.»

« بوسعك ان تنتظري نصف ساعة أليس كذلك؟ انهم في فترة راحة بعد الغداء.»

« لا يهم. فالامر ليس بهذه الاهمية.»

« كلا، لا تذهبي! أنا واثق من ان وليام يود ان يراك، وتارا ايضاً.»

« لماذا؟ انها لا تعرفني.»

« كلا، ولكنها دائما تهتم بالتعرف الى صديقات وليام ... الاخريات . يجب ان تنتظري حتى تلتقي بها. ستحبان بعضكما بعضا من النظرة الاولى.»

برغم انه كان يبدو جاداً، كان لديها إحساس داخلي بأنه يقول هذا تهكماً. ومع انها لم تأت أصلاً الى اليخت لهذا الغرض، أحست انها تود ان ترى وليام مرة أخرى.

« حسناً، سأنتظر.»

صحبها الى سطح اليخت ثم بادرها قائلا:

« ماذا تشربين؟»

« عصير من فضلك.»

ضغط على جرس بجواره ثم فتح صندوقاً بدا بداخله شيء كبكرة الافلام.

« ما هذا؟»

تساءلت عندما انتقى إحداهما ووضعها في جهاز به قرصان دواران.

« عم تسألين؟ هذا؟ ألم تري من قبل جهاز تسجيل. هذا المكان بدائي أكثر مما أتصوره . وماذا عن جهاز التلفزيون؟»

« هناك محطة للتلفزيون. ولكننا لا نملك جهازاً.»

بدأ الجهاز يخرج صوت موسيقى. وظهر خادم صغير أسمر من دولة اميركا اللاتينية فأمره جون باحضار العصير.

جلست شارلوت على حافة أحد المقاعد آملة ألا تتلف ثيابها المبتلة قماش المقعد الفخم. وظهرالخادم مرة ثانية وقد حمل العصير على صينية من الفضة.

ابتسمت له شارلوت قائلة:« شكراً لك.»

وبعد لحظات انضمت اليهما سيدة شقراء، دقيقة الجسم ترتدي رداء بحر احمر وصندلا مذهبا مزينا بأحجار حمراء.

« أوه، ها انت يا جوني ... من هذه؟»

« صديقة وليام، اسمها شارلوت، شارلوت هذه جانين أمي.»

دمدمت شارلوت بينما رفعت جانين نظارتها ثم حاجبيها قائلة:

« صديقة وليام؟»

« تلك الفتاة الصغيرة الظريفة التي لقيها عندما كان يتجول وحده.»

أطلقت أمه ضحكة غليظة قائلة:

« اه تذكرت، أين تارا؟ هل عرفت ان عندنا ضيفة؟»

وقبل ان يجيبها صعد الى السطح عدد آخر من الناس. وبعد ان عرّفهم جون بشارلوت أخذوا، مثل أمه، يتضاحكون ويتغامزون، الامر الذي جعل شارلوت تشعر بمزيد من عدم الارتياح. حاولت ألا تظهر هذا عليها. وتمنت ان يجيء وليام في هذه اللحظة. لم تكن تفهم لماذا يبدي الجميع كل هذا الاهتمام بها.

فجأة ظهرت امرأة أخرى، وأدركت شارلوت فوراً ان هذه هي تارا مونتيفالكو وعلى خلاف الجميع الذين كانوا في ثياب السباحة، كانت ترتدي بيجاما هفهافة من حرير رقيق زاهي الالوان. كانت بشرتها سمراء وكان شعرها اسود قصيراً ملتصقاً برأسها وكان لديها أطول أهداب رأتهما شارلوت في حياتها.

« عزيزتي تارا، تعالي لتتعرفي بصديقة وليام. بدأت أفهم لماذا يقضي معظم الوقت وحده بعيداً عنا. شارلوت، هذه هي مضيفتنا تارا مونتيفالكو.»

أحست شارلوت ان الجميع يحبسون أنفاسهم وكان بوسعها ان تحس بالتوتر الذي يلف المكان.

قالت في تردد:« كيف حالك؟ آمل ألا يكون لديك مانع لقدومي. جئت لأتحدث مع السيد هاملتون؟»

كانت عيناها الواسعتان الداكنتان لا تكشفان عما بداخلها. ثم قالت بصوت خفيض جذاب:

« سأرسل شخصاً يبلغه بذلك، ولكن قبل كل شيء ألا تحبين تسريح شعرك، وارتداء قميص حتى تجف ثياب البحر. فما من شيء يثير الاحساس بعدم الراحة أكثر من الجلوس في ثياب مبتلة. تعالي الى قمرتي.»

كان جناح المضيفة بمثابة اكتشاف لشارلوت. كانت جدران القمرة مغطاة بحرير أزرق متموج بينما الاريكة والمقاعد مغطاة بحرير ليموني اللون.

وهناك ردهة تكسوها ألواح خشبية تقود الى قسم النوم. دفعت أحد تلك الالواح لتكشف عن خزانة ملابس مليئة بالثياب، انتقت منها واحدا ذا ملمس مخملي وبلون أصفر.

« من الافضل ان تأخذي حماماً لن يستغرق منك هذا اكثر من خمس دقائق.»

قادتها عبر غرفة نوم وردية مذهبة الى حمام وملحق بها بلون وردي ناصع نادر، كقلب محارة ضخمة.

« عندما تكونين مستعدة تعالي الى غرفة الجلوس.»

خلعت شارلوت ثيابها استعداداً لأخذ الحمام وهي تشعر بذهول من تطور الاحداث. كان هناك دوش في منزل أسرة مارتن ولكنه بدائي للغاية بالمقارنة مع القمرة المصنوعة من الزجاج والمعدن ونظامها المعقد لتدفئة المياه.

وعندما عادت الى غرفة النوم كان الباب مفتوحاً قليلاً كذلك كان الباب الواقع في نهاية الردهة. فسمعت تارا تتحدث مع شخص ما، ويبدو في صوته الضيق وهي تقول:

« كلامك مضحك وغير معقول، فأي انسان يستطيع ان يرى انها مجرد طفلة.»

جاء صوت جانين مجيباً:

« طفلة جذابة جداً يا عزيزتي...»

« نعم، ستكون رائعة بعد سنوات قليلة. ولكنها الآن ساذجة بالدرجة التي لا تجذب وليام.»

« هل انت واثقة من ذلك؟ انا لا اريد ان اقلقك يا عزيزتي ولن يجب ان تعترفي ان أمره أصبح محيراً في الآونة الاخيرة. اين يذهب بمفرده؟ انه ضيفك الخاص. لو كنت مكانك لأحسست بجرح في كبريائي.»

فأجابته:

« نعم اتوقع ان تكوني كذلك. ولكنك أكبر مني سناً

بكثير. وعندما تبلغ المرأة سنك تصبح عادة أكثر عصبية ومحبة للتملك.»

عند هذا الحد، ادركت شارلوت ان ليس من حقها ان تستمع الى هذا الحوار، فأغلقت الباب. ولكن ما سمعته كان كافيا ليجعلها تدرك ان هؤلاء الناس برغم انهم يبدون مهذبين، غير قادرين علي الأذى لكنهم في حقيقة الامر كالاسماك البحرية المتوحشة.

لم تكن قد انتهت من تمشيط شعرها عندما عادت تارا الى غرفة النوم. وقالت:

« يبدو ان وليام أخذ الزورق وذهب الى مكان ما. لكنه قد يعود سريعاً. تعالي وقصي علي كل شيء عن نفسك.»

تبعتها شارلوت الى قمرة الاستقبال حيث جلست تارا على الاريكة قائلة:« كم عمرك؟»

« انا في السادسة عشرة من عمري. السابعة عشرة تقريباً.»

وجلست شارلوت بارتباك على حافة المقعد.

سألتها تارا أسئلة عدة، ثم احضر الخادم الشاي على صينية من الفضة كان بوسعها ان تلتهم الشطائر في قضمة واحدة لكنها نجحت في ان تستبقيها لعدة قضمات. كانت تخشى أن تسقط او تسكب شيئاً، كما ان احساسها بأن المرأة تراقبها جعلها أكثر عصبية.

« هل هناك رسالة أبلغها لوليام اذا ذهبت قبل ان يعود؟»

« اوه، كلا، شكراً. جئت فقط لأودعه اذ قال انكم سترحلون قريباً.»

« نعم، سنرحل غداً. هل تستلطفينه؟»

« نعم، انه يبدو لطيفاً.»

ردت شارلوت في حذر بينما أطلقت تارا ضحكة خفيفة وسألت في تهكم:

« هل تظنين كذلك؟»

« ألا ترين انت هكذا؟»

« ذلك يعتمد على ما تعنين بكلمة لطيف. ففي لغتي هي بمعنى شخص مسالم ولكنه ممل، فكيف تفهمين انت هذه الكلمة؟»

« انه ودود وطيب، في رأيي.»

ضحكت تارا مرة أخرى قائلة:

« انت فتاة بريئة. فمعظم الفتيات اللواتي في سنك يجهلن الكثير عن الرجال الى ان يتعرفن على ذلك النمط الذي يعرف بالنوع الخطر.»

« ماذا تقصدين بالنوع الخطر؟»

« النوع المتخصص في الايذاء ... وليام ليس رجلاً لطيفاً يا عزيزتي، بل انه رجل مؤذ. وسمعته الفاضحة هي التي تجعله جذابا الى هذا الحد. وانا نفسي أنتمي الى هذا النمط. لكن الفرق الوحيد بيننا هو انه كان علي ان اناضل من اجل الحصول على ما اريد، أما وليام فقد ورث أمواله، لقد كان حراً دائماً.»

نهضت السيدة ونظرت من فتحة في جانب اليخت بعد ان سمعت عن بعد هدير محرك.

«ها قد عاد الزورق. سيكون معنا بعد دقائق. ماذا تنوين ان تفعلي في حياتك.»

« لا اعرف. لم افكر في الامر بعد.»

« اذن يجب ان تفكري. انت قد لا تدركين انك في موقع ممتاز هنا. فعندما كنت في السابعة عشرة

من عمري كنت حبيسة مدينة في انكلترا. كان علي ان أخرج للبحث عن فرصي. أما انت فبوسعك ان تنتظري حتى تأتيك فرصتك وانت في مكانك – ربما فوق يخت مثل هذا.»

لم تقل شارلوت شيئاً. في البداية تأثرت بكلام تارا، وأحست بالارتياح إزاء صداقتها غير المتوقعة. ولكن كان هناك شيء منفر في نبرة تارا. وبينما هي تسمع صوت اقتراب الزورق سألت شارلوت نفسها ما اذا كان وليام ايضا سيبدو مختلفاً غير محبب وسط هؤلاء القوم.

بعد مضي بضع دقائق دخل وليام ولاحظ على الفور ان تارا لم تكن وحدها. لم يبد مسرورا لرؤية ضيفتها فسأل بفظاظة:« ماذا تفعلين هنا؟»

أجابته تارا قائلة:« جاءت لتراك.»

« أوه؟ لماذا؟»

تساءل وهو ينظر الى شارلوت بطريقة جعلتها تحس وكأن تعارفهما كان عابراً للغاية.

أحست بالدماء تصعد الى وجهها وقد انربط لسانها..

« ربما من اجل أمر خاص، سأترككما.»

قالت تارا تلك الكلمات وهي تتجه صوب الباب.

اتجه وليام نحوها، وبيد خفيفة على وسطها، ارجعها نحو الاريكة.

للحظة أخذا يتبادلان النظر في ابتسام وألفة خاصة، الامر الذي جعل شارلوت أكثر توتراً.

« أليس هذا الثوب الاصفر لك يا تارا؟»

تساءل وليام بعد ان لاحظ الثوب الزعفراني. ربما لم يكن يقصد ولكنه جعل شارلوت تحس أنه من

الوقاحة ان ترتدي ثوباً صمم لواحدة أكثر منها أناقة ورشاقة.

« نعم، قطعت شارلوت المسافة بين الشاطئ واليخت سباحة. ولم يكن ممكنا ان تبقى في ثياب مبتلة.»

قفزت شارلوت قائلة:

« يجب ان اذهب الآن. لقد جئت لأودعك وأشكرك على انك لم تقل شيئاً عن الجزيرة.»

قالت تارا متسائلة:« اية جزيرة؟»

« عندما التقيت بشارلوت كانت تعتدي على ملكية خاصة مهجورة.»

ذكرته شارلوت قائلة:« وانت ايضاً.»

تجاهل كلماتها وبادرها متسائلاً:

« اين ملابسك لأعيدك الى المنزل.»

« لا تقلق سأعود بالطريقة التي اتيت بها.»

ضحكت تارا وتبعتها الى غرفة النوم. وهناك بادرتها قائلة:« هل تخيفك الآن امكانية بقاءك وحدك مع وليام بعد ما قلته لك عنه؟ لا تقلقي فأنت في مأمن معه. وليام قد يكون فاسقاً ولكن لديه القدرة على التمييز وبرغم انك جذابة جداً لكنني لا أظن أنك بلغت مجاله بعد.»

تساءلت ما سيكون رد فعل تارا لو قالت لها:« انه لا يملك قدرة على التمييز كما تظنين. عانقني وعانق اختي ايضاً.» ولكن ربما يكون العناق امراً في بساطة الابتسامة بالنسبة الى قوم مثل هؤلاء.

بعد ان انتهت شارلوت من ارتداء ثيابها قالت:

« شكراً لك على الشاي ارجوك لا تزعجي نفسك بمصاحبتي الى اليخت ووداعاً.»

أفسحت لها تارا الطريق قائلة:« وداعاً يا شارلوت.»
وجدت وليام واقفاً بجوار السلم المعلق الى جانبي اليخت فقالت له:
« انا لست في حاجة الى من يوصلني، شكراً لك. وعلى العموم تركت ملابسي على الشاطىء. فوداعاً وآمل أن تستمتعوا ببقية رحلتكم في البحر.»
ابتسمت له ابتسامة مقتضبة ومرت أمامه لتهبط السلم. ولكن لضيقها وجدت الزورق راسياً بطريقة تحول دون غطسها في المياه من فوق السلم بل كان عليها ان تمر اولاً بالزورق، عند تأرجحه بعد ان تسلقته في عجلة، وجدت من يمسك بها من الخلف ويدفعها نحو المقعد الامامي رغم مقاومتها.
لم تكن لتستسلم الى هذه المعاملة، لو لم تلحظ جون، ووالدته، وآخرين يراقبون رحيلها.
وعلى مقربة من الشاطىء قال وليام:
« والآن اذهبي واجلبي ملابسك ولا تحاولي الفرار. فأنا اريد ان اتحدث معك، يا شارلوت الصغيرة.»
وفي تمرّد أحضرت ثوبها ومنشفتها وألقت بهما على سطح الزورق ثم ألقت بنفسها من ورائها حتى جعلت الزورق يتأرجح أكثر من المرة السابقة. كان سيسرها ان ينقلب ولكن بدلاً من ذلك ارتطم مرفقها به فانفجر وليام ضاحكاً.
وعندما وصلا الى نقطة بعيدة من طرف الارض أوقف المحرك وسألها بنبرة مرح وقد استدار نحوها ماداً ذراعه على ظهر المقعد:« والآن، لماذا أنت غاضبة؟»
« انا لا احب أن يمسك بي احد ... وكأني كيس من الفول!»

« انا آسف، ولكن تلك كانت الطريقة الوحيدة أمامي لايقافك. لكنك كنت غاضبة قبل ذلك.»
« كلا، لم أكن غاضبة. أنا فقط لا أحب الانتظار. انتظرت قرابة نصف الساعة.»
« أليس من الغريب ان تنتظري شخصاً ما نصف ساعة، ثم ان تهرعي بالفرار لحظة ظهوره.»
« حسناً، ظننت أنك استأت لوجودي.»
« ولماذا أكون مستاء!»
« لا اعرف ولكن من المؤكد ان هذا ما بدا عليك.»
« فوجئت، هذا كل ما في الامر، كيف كان لقاؤك مع تارا؟»
« كانت ودودة جداً معي.»
« هل التقيت بأي من الآخرين؟»
« نعم، أعتقد أنهم يغيضون، خاصة جون بحذائه السخيف والعقد الذي يعلقه حول رقبته في حماقة.»
ضحك قائلاً:
« لو كنت تعيشين في انكلترا لكان اخوتك قد زينوا أنفسهم مثله. ان هذا هو الاتجاه السائد.»
« كلا من المستحيل! فالعقود للفتيات وليست للرجال!»
« أوافقك، ولكن ذوقي عتيق.»
مد يده ليلمس خصلة مبتلة من الشعر على كتفها وقال:
« عندما انظر اليك أحس انني عتيق من جميع النواحي.»
« انت لست متقدماً في السن. كم عمرك؟»
« عمري بالسنوات اثنتان وثلاثون سنة. ولكن بمقدار

ما بذلت من حياتي فأنا في حوال الخمسين من عمري.»

« لا تبدو في نظري مستهلكا، بل ان جسمك يبدو أكثر قوة من جون.»

أحست فجأة أن غضبها تلاشى وعاودها ذلك الاحساس الذي أحسته عندما كانا يتبادلان الحديث وهما يتناولان غداءهما سوياً.

« لماذا جئت الى منزلنا ذلك اليوم إذا لم يكن هدفك ان تبلغ والدي بأمر الجزيرة؟»

لم يجبها على الفور بل جلس يداعب شعرها في استرخاء وقد اتجهت عيناه صوب المنطقة الخضراء النائية من الجزيرة.

« اعتقد للسبب نفسه الذي جئت من أجله الى اليخت اليوم. فضول للتعرف على طريقة معيشة النصف الآخر.»

« انا لم أدخل من قبل يختاً فخماً، ولم أقابل اشخاصا متمدنين. ولكنني لا ارى سبباً وراء فضولك للتعرف على حياتنا. فنحن مثل أية اسرة عادية ليس فينا ما يثير الاهتمام.»

« اي شيء غير معتاد مثير للاهتمام. وانا لم انتمي يوماً الى اسرة عادية.»

« اتفكر حقا في الاقامة هنا؟»

« ما الذي جعلك تفكرين في هذا؟»

« انت، قلت هذا لأمي.»

« هل قلت هذا؟ ربما فقط لأجد موضوعاً للحديث.»

« تارا تقول عنك انك غني جداً. أين ستذهب في باقي الرحلة؟»

لم يجب على سؤالها بل تساءل:

« كيف وردت حالتي الاقتصادية في الحوار؟»

وحتى تحول دون سؤاله اياها عن سائر ما قالته تارا عنه بادرته قائلة:« كانت تتحدث عنك ... انها جميلة جداً. هل انت ... هل هي حبيبتك؟»

وقبل ان تنتهي من سؤالها فزعت لتهورها، واعدت نفسها لصدمة قاضية تستحقها. ولكنه قال بثبات:

« نعم.»

نظرت اليه لكنها لم تجد قسمات وجهه قد تجمدت. وظلت عيناه هادئتين دون فتور.

« انا آسفة ... ما كان يجب ان اسأل.»

اعتدل في جلسته واستدار نحو عجلة القيادة قائلاً:«الامر ليس سراً.»

وعندما اصبح الزورق مواجهاً لمرفأ منزلها، أمسك به ومد اليها يده الثانية حتى تصل الى الشاطىء.

« وداعاً يا وليام.»

في اليوم التالي رأت اليخت يتخطى هورتنسيا متجها صوب الشمال. وبينما هي تراقبه يختفي عن الانظار أحست بمزيج من الراحة والقلق. فمن ناحية كانت سعيدة بذهابه. ولكن في الايام التالية بدا لها نمط الحياة الذي كانت راضية عنه من قبل مملاً بشكل باعث لليأس: روتين لا نهاية له، لا يتبدل بين الاكل والنوم وملء الفراغ بشكل قد يستمر لسنوات قبل ان يحدث أمر لكسر هذه الرتابة.

وبرغم أن هذا الاحساس بالركود تلاشى تدريجياً، لكن ذكرى وليام لم تتلاشى. كانت تعلم أنه من الحماقة أن تعيش أحلام يقظة مع رجل لن تلقاه

ثانية، ويكبرها بسنوات. مع ذلك لم يكن بوسعها ان تتخلص من التأثير الذي تركه عليها. وبعد فترة نسيت تماما زيارتها لليخت وأصبحت لا تتذكر الآن سوى لقائهما الاول. ثم بدأت تتذكره ليس كما كان، ولكن كما كان يحلو لها ان يكون وبدأت تخلق قصصا خيالية تقوم فيها هي ووليام، الشاب البالغ من العمر عشرين عاما بمغامرات حول العالم.

مرّ شهران قبل ان تتمكن شارلوت من ان تنسل مرة أخرى في إحدى رحلاتها السرية الى جزيرة سوليفان.

وعندما وصلت الى المنزل، لم تصدق عينيها. كانت النباتات الفارهة قد جزت والمنطقة كلها خالية من النباتات الارضية. وفي الطرف البعيدمن تلك الرقعة المفتوحة، رأت عددا من الاشجار المقطوعة.

وقفت شارلوت فترة طويلة من الوقت متجمدة فاغرة فاها دهشة. ثم تقدمت نحو المنزل وهي مشدوهة. كانت هناك مفاجأة أخرى تنتظرها. فالباب الذي دب فيه العفن، والذي كان دائما مفتوحا بعد ان جمد الصدأ مفاصله، استبدل بباب آخر، باب آخر مغلق. وبحذر دفعته، فتحرك الى الخلف على مفاصل جديدة لا تخرج صريرا. وظلت واقفة في مكانها لحظات تنصت. كان المنزل ساكنا كالعادة. دخلت ثم اغلقت الباب خلفها في هدوء.

كان اول ما لاحظت في البهو هو اختفاء الفروع والنباتات المتعرشةعن الدرج. وفي المطبخ اكتشفت وجود موقد صغير وأشياء أخرى تكفي احتياجات فرد او اثنين.

وفي الطابق العلوي، وجدت ان غرفتين من غرف النوم أغلقتا. وضعت عينيها على ثقب المفتاح ولكنها لم تر شيئا.

كان يبدو وكأن المنزل يقطنه شخصان على الاقل. من هما؟ واين هما في هذه اللحظة؟

وقبل ان تعود الى الشاطىء بحثت في كل موقع في الجزيرة، لكنها لم تجد اي شيء آخر قدتغير. كلا، كيف تحتمل ان تعود الى المنزل دون ان تجد إجابة لهذه الاسئلة؟ اذا كانت تود ان تحل هذا الغموض، فعليها ان تنتظر مكانها، لترى بنفسها هؤلاء المتطفلين.

ظلت قابعة على الشاطىء بعين يقظة حوالي ساعتين. وفي الثالثة من بعد الظهر أحست بعينيها تؤلمانها من كثرة النظر صوب المياه اللامعة. اغلقت عينيها أمام هذا الوهج، وأطلقت زفرة تحولت فيما بعد الى تثاؤب. إن الجلوس ساكنة أمر متعب للغاية، واذا لم تحذر قد تستسلم الى النعاس.

أفاقت على شيء يمس نعل حذائها.

« كف عن هذا يا كيث.»

ثم ادركت فجأة انها ليست راقدة على الشاطىء بجوار منزلهم، وان من يمسها الآن ليس أخاها الصغير. خفق قلبها بعنف، ثم فتحت عينيها.

« اتصور انني قلت لك من قبل ألا تجيئي الى هنا وحدك.»

جاء صوت وليام هاملتون صارماً.

« وليام!»

طرفت عيناها وهي تنظر وجهه المنحني الداكن –

ذلك الوجه الذي توقعت ألا تراه ثانية – واجتاحتها موجة من الارتياح والغبطة.

وليام سيساعدها. وليام سيعرف ماذا يجب ان تفعل ... كيف تتخلص من هؤلاء المتطفلين على جزيرتها.

« أوه ، وليام، لقد عدت! انت الشخص الذي احتاج اليه. حدث شيء مروع ستساعدني، اليس كذلك؟ يجب ان تساعدني!»

« طبعاً سأفعل ... اذا استطعت، ما هي المشكلة؟ ما هي اعمالك الماكرة ؟ ماذا تدبرين انت وفلافيا هذه المرة؟»

« لا شيء ... لم نفعل شيئاً. ليست المشكلة من هذا النوع. أوه وليام، أنا سعيدة لرؤيتك . متى وصلت؟ هل غيرت رأيك؟ هل ستقيم هنا في النهاية؟ هل انت وحدك؟ أم ان الآخرين معك ايضاً؟ اين...»

« لو اعطيتني نصف فرصة، لقلت لك كل شيء. أنا سعيد لأنك سررت لرؤيتي . تصورت ان أحداً لن يحتفي بي بهذا الشكل.»

« ماذا جعلك تتصور هذا؟ فما من أحد جدير بالاحتفاء مثلك. انه شيء رائع!»

وحتى تريه ما تعنيه عودته بالنسبة اليها ألقت بذراعيها حول عنقه واحتضنته.

ضحك وبادلها العناق. للحظات أحست بسعادة لا توصف. ثم بلطف ابعدها جانباً وفي تلك اللحظة خبت لهفتها. وأدركت انه ليس حليفاً تثق به. افتقدته منذ زمن طويل – أو هكذا تصورت لحظة استيقاظها ... بل انه رجل لم تقع عليه عيناها منذ شهرين.

« انا آسف ... كنت نصف نائمة ... أنا لم اقصد...»

همهمت في خجل وهي تبتعد عنه.

« لا داعي للاعتذار فأنا أحب الاستقبال الحار. والآن، قولي لي ما الامر؟ ما هي تلك المأساة البشعة يا صغيرتي شارلوت؟»

« ليس الامر مزاحاً. انه امر خطير للغاية. تعال لترى بنفسك.»

وعندما بلغا مشارف الارض المنشرحة، استدارت نحوه، وهي تتوقع ان تراه مدهوشاً كما كانت هي منذ قليل.

ولكن وليام قال في هدوء:

« يا له من تغيير مما كان عليه المكان منذ المرة الاخيرة التي كنا فيها سوياً.»

« انت لا تفهم. لم أفعل أنا كل هذا. فأنا لم أحضر منذ ذلك اليوم. لقد فعل ذلك شخص ما. شخص ما يعيش هنا الآن.»

«شخص ما؟ ألا تعرفين من؟»

« لم أرهما بعد. أعتقد انهما اثنان.»

« لا تقولي هما يا شارلوت – بل انا فقط الذي أعيش هنا. تصورت أنك خمنت ذلك. فأنا أقيم هنا منذ شهرين وأنوي أن أقيم هنا دائماً.»

حملقت فيه غير مصدقة. وأخيراً استعادت نفسها بالقدر الكافي لتقول في وهن:« لا يمكنك ذلك ... لا يمكنك ذلك!»

« لماذا؟ أوه؟ بسبب الارواح؟ لم تشكل لي اية مشكلة، واذا لم تعترض على بقائي هنا لا اتصور ان أحداً آخر سيفعل ذلك.»

أخذت نفساً عميقاً ثم انفجرت قائلة:

« انا اعترض، لا يمكنك ان تستحوذ عليها، فهذه جزيرتي انا، سأشتريها. لقد قلت لك ذلك. ان جزيرة سوليفان هي جزيرتي.»

« كان هذا أملاً كاذباً يا شارلوت. أنا اعرف كيف تشعرين بالنسبة الى هذا المكان، ولكن يجب ان تدركي انه ليس بوسعك ان تشتريه، يمكنني ان افهم غضبك عندما ظننت أن أغراباً قدموا الى الجزيرة. ولكن انا لن أمنعك من المجيء.»

« إطلاقاً، أنا لن أحضر الى هنا ثانية. أنت ستغيرها ... ستفسدها. انا أحبها كما هي.»

« ليس هذا هو ما قلته المرة الماضية. كانت لك خطط عظيمة بالنسبة الى هذه الجزيرة.»

« ما كان يجب ان اكشف لك عن خططي، فلولا ذلك ما فكرت في ان تعيش هنا.»

« كلا، ربما ما كنت سأفكر في ذلك. ولكن ما فائدة خطط لا يمكنك تحقيقها يا شارلوت؟ عندما تفكرين في الامر، ستكتشفين أنك لم تخسري شيئاً.»

« من اين لك ان تعلم انني لن انجح في تنفيذ خططي؟»

راودتها فكرة جعلتها ترفع ذقنها في تحد قائلة:

« لا تكن واثقاً من ان بوسعك ان تحقق فكرتك. فليس من حقك ان تضع يدك على الجزيرة هكذا. يجب ان تشتريها، وربما لن يوافق مالكها على بيعها لك.»

ألقى عليها بنظرة جعلتها تعتقد للحظة انها لم تفقد كل الامل بعد. ثم قال بهدوء:

« انا بالفعل أملك سند ملكية الجزيرة. اذا كنت تشكين في هذا، تعالي لأريك إياه.»

« أوه!»

أطلقت شارلوت صرخة لا ارادية.

ثم استدارت وركضت. ولكنه هذه المرة لم يتعقبها. وعندما وصلت الى الشاطىء ألقت بنفسها في البحيرة.

www.elromancia.com

الفصل الرابع

وقعت شارلوت في اضطراب عاطفي كبير منذ عاد وليام الى الجزيرة، ولم يكن هناك من تبوح له بحزنها . وكان عليها ان تحتمله وحدها، ولم يكن بوسعها ان تحتمل سخرية فلافيا عند النوم بينما تحتوي شعورها الاليم بالضياع.

لم يكن بعودته قد حرمها فقط من الجزيرة، بل شوه الصورة التي رسمتها عنه بعد ان استولى على مكان لا يبعد غير اميال قليلة عن الشاطىء وكان يخصها.

لم تكن لتزور الجزيرة للمرة التالية عادة قبل ان تمضي عدة اسابيع، غير ان والدها، بعد عودتها السريعة المفاجئة من الجزيرة بعشر أيام، أشار وهو يتناول طعام العشاء قائلا:

« يمكنك أن تأخذي القارب غداً يا شارلوت إذا أردت ذلك.»

وسألته:« حقاً؟ حسناً!»

كانت قبل ذلك بوقت غير بعيد تشعر بالبهجة إذا ما سنحت مثل تلك الفرصة ... ولكن هذا العرض الآن زاد من شعورها بالاحباط اذا كانت قد صممت على ألا تطأ قدمها أرض الجزيرة ثانية طالما هو هناك.

واستسلمت في النهاية لشعور قوي يغريها بأن تذهب لتستطلع نوايا وليام فهي لا تريد ان تراه بل تريد ان تعرف ما ينوي ان يفعله بجزيرتها.

وأحست بالألم عندما فكرت أنها ستضطر ان تدخل

الجزيرة عن طريق القناة التي لم يجرؤ أحد سواها على ان يجتازها لسنوات طويلة، وتذكرت كيف اقتربت بعصبية من الشاطىء في اول مرة وكيف صارعت ضد الشجيرات الصغيرة.

وعندما بلغت المنزل لم تجد اي تغييرات واضحة منذ آخر مرة كانت هناك، ولكنها عندما اقتربت من الباب الامامي وجدته هذه المرة مفتوحاً على مصراعيه، وسمعت صوت منشار... ووقفت في الردهة تحاول ان تتعرف على مصدر الصوت، بينما انطلق هر في مقتبل نموه من غرفة الجلوس يشمشم حولها ويحك جسمه في ساقيها ...

وانحنت لتداعب الهر.

كان نحيلاً للغاية ولم تكن فروته في حالة طيبة وبدا كأنه حيوان ضال يعاني من نقص التغذية، لكنه لم يكن عصبياً او نافراً، وربتت عليه بيدها فأنس لها في اطمئنان وتقدير.

توقف صوت المنشار وسمعت وقع اقدام وظهر وليام في أعلى السلم فتوقف لحظة ثم هبط الى الردهة قائلاً:

« أهلاً وسهلاً ... كيف حالك؟»

وقالت في شيء من الحذر:« صباح الخير.»

« ما كنت أتوقع أن اراك قبل اسبوع او اسبوعين... وظننت انك لن تستطيعي الحضور إلا مرة في الشهر.»

علقت في شيء من القسوة:

« اعتقد انك لم تكن تنتظر ان تراني بتاتاً.»

« هل ذلك لأنك كنت مضطربة في المرة الماضية؟

كان ذلك أمراً طبيعياً. وكنت أعرف أنك ستهدأين وتقتنعين عندما تجدين الوقت لتستعرضي الامر من جديد.»

وقبل ان تفتح فمها لتدحض هذا الكلام أضاف:

« كنت على وشك النزول لآخذ كوباً من الشراب. ماذا تشربين؟ كوكا كولا أم قهوة؟»

« لا اريد شيئاً، شكراً!»

« لا؟ حسناً! لنذهب معاً الى المطبخ ونرى. هيا يا أوليفر!»

وأشار الى الهر الذي جرى أمامهما على الفور تجاه المطبخ.

وقال وليام وهو يفتح علبة الشراب:

« من حسن الحظ انك جئت اليوم اذ كنت بالامس في المدينة وتركت لك ملاحظة على الباب .»

نظرت شارلوت الى اوليفر وقالت:« من اين حصلت على هذا الهر؟»

« التصق بي اول مرة ذهبت فيها الى المزينة، وكان من الواضح أنه ليس ملكاً لأحد وقد احضرته ليؤنسني وسميته أوليفر لانه كان هزيلاً أعجف، ولكنه الآن افضل حالاً. أما زلت مصرة على ألا تشربي شيئاً؟»

« لا ... شكراً!»

« اذن فلنخرج الى الهواء الطلق ... هناك بعض الكراسي المريحة في فناء البيت .»

ولاحظت شارلوت انه قام باخلاء مساحة كبيرة من الشجيرات والاعشاب التي كانت تنمو وراء المنزل منذ زيارتها السابقة. وكان هناك كرسيان ومنضدة

تحت شجرة من أشجار الياسمين الهندي العطرة، سألته شارلوت بعد ان جلسا:

« هل يعرف اهل القرية انك تعيش هنا؟ وهل استخدمت أحدهم في إصلاح المنزل.»

وضع كوبه على المنضدة، وهز رأسه قائلاً:

« انني اعتمد على نفسي في الوقت الحاضر، وعندما يصبح المكان جاهزاً للسكن احتاج الى طاه وبستاني. ولكنني أفضل الاعتماد عل نفسي في هذه المرحلة.»

ابتسم ثم استطرد يقول:« هل تظنين انني لا استطيع العيش من دون خدم؟ إن اعداد الطعام او تنظيم المسكن من الامور التي لا تحتاج الى مهارة كبيرة.»

« تستطيع ان تحتمل لأسابيع قليلة . ولكن الامر سوف يحتاج الى شهور لتنجز كل شيء بنفسك.»

« أقدر انه يحتاج الى حوالي ستة اشهر شرط ان يتم تركيب المولد الكهربائي في وقت قريب.»

« ولكن حتى لو توفرت الكهرباء لا تستطيع ان تعيش هنا وحدك لعدة شهور. انك لم تتعود هذا اللون من الحياة .... وبرغم اننا اعتدناه فاننا نشعر بالضيق في بعض الاحيان.»

علق ساخراً:« انك شابة وطبيعي ان تشعري بالقلق، أما انا فقد استمتعت بالحياة وذقت ألواناً عديدة منها.»

قالت في قسوة:« اعتقد ان بك جنوناً، انني اعرف تماماً ما سوف يحدث، سوف تدخل تعديلات على المنزل وسوف تسيء اليه حتى تضيق به تبيعه، وعند ذاك سوف ترحل وتبدد المال.»

ضحك وقال:« لا اظن انني سأعاني من الضيق طالما انك قريبة مني ياشارلوت.»
وحدقت فيه، قائلة:« ولكنني لن أكون قريبة منك...»
« جئت اليوم.»
« جئت لأنني نسيت شيئاً هنا.»
« صحيح؟»
« على الاقل، أظن ذلك، ولكن ربما أكون فقدته في مكان آخر.»
« وما هو ذاك؟ ربما ساعدتك في البحث عنه.»
وأخذت تفكر فيما عساها ان تكون قد نسيته؟ كتاباً؟ أم نظارة شمسية؟ ام مطواة؟ وعلق قائلاً:
« أحرى بالناس الذين تحمر وجوههم عندما يكذبون ان يلتزموا الصدق. لماذا لا تعترفين بأنك حضرت خصيصاً لتسألي الاسئلة التي لم تسأليها في المرة السابقة؟»
صمتت لحظة ثم قالت:« اريد ان اعرف، هل اشتريت الجزيرة ام استأجرتها؟»
« لا هذا ولا ذاك ... لأنها كانت دائما ملكي...»
شهقت شارلوت قائلة:
« ملكك ... دائماً؟»
« ولدت هنا، وماتت أمي هنا، وانت تعرفين القصة.»
« ولكن لا يمكن ان تكون ابن سوليفان! فاسمك هاملتون...»
« بدل الاقارب الذين تبنوني اسمي ، وخيل اليهم ان ذلك قد يمنع الفضيحة.»
أشعل سيكارة، وواصل يقول:
« ان اردت البرهان فسأريك شهادة ميلادي ... ولقد

تسجل اسمي فيها! ووليام بادريك سوليفان، ابن سين وروزالين سوليفان، من جزيرة مانغو.»
« لا اكاد اصدق ... أقصد انني أصدقك بالفعل ... ولكن الامر يبدو غريباً للغاية.»
وتمتمت بعض الوقت ثم قالت:« اذاً هذا هو الذي جعلك تبدو مخيفاً اول مرة رأيتك. كنت في غرفة الجلوس عندما ...»
وتوقفت عن الكلام وهي تعض شفتها، ولكنه أكمل عنها:« عندما أطلق شون سوليفان النار على امي، نعم، ان هذه الواقعة صحيحة.»
« ولكن، ان تعيش هنا بعد ما حدث ! كيف يمكن لك ان تحتمل ذلك؟»
« بعد أكثر من عشرين سنة كما تعلمين ، تنطفىء الذكريات ... حتى المؤلم منها، وإذا بدا علي الاكتئاب في اليوم الاول فلأنني كنت شارداً في التفكير فيما إذا كان المكان يستحق الاصلاح! وكنت اتوقع ان اجده في حالة سيئة بالطبع . ولكن آثار التصدع تتجسد بشكل متزايد للشخص الذي يكون قدشاهد المبنى وهو في وضع معقول. وفي اي حال ليس لدي خيار في الموضوع ... هذا المكان هو آخر ما بقي لي من الميراث .. أنا لست واسع الثراء كما يظنون ولذا فإنني سأصبح في أزمة مالية بعد اصلاح المنزل.»
تجاهلت تعليقه قائلة:« هل تعني انك ستصبح مفلساً حقاً ام تعني انك ستعاني من ضائقة مالية.»
« لن أكون في ضائقة مالية فحسب ... ولكن معدماً تماماً.»

علقت شارلوت:« لو عرفت كيف يكون حال من يعاني المتاعب المالية لما سخرت بهذه الطريقة.»
علق وليام في مرارة:« إن الضيق والحزن لا يفيدان شيئاً.»
« ولكن إذا أصبحت مفلساً حقا، فكيف ستعيش؟»
« لن اموت طالما ان هناك سمكاً في البحر واستطيع أن أزرع البطاطا والبازلاء الهندية ... وإذا ساءت الامور فسأحاول أن اعمل.»
« ولكن هل سبق لك العمل؟»
« لم يكن ذلك ضروريا .»
« اعتقد أنه من الصعوبة بمكان أن تجد فرصة هنا ... سكان الجزيرة أنفسهم لا يجدون فرصاً كافية للعمل.»
« أستطيع أن أزعم أنني سأجد فرصتي، فلا بد ان اجد سبيلا.»
ونهض من كرسيه، وقال:« هل تشربين الكوكا كولا الآن؟»
«حسناً ... أشكرك!»
لاحظت وهو يعود من المطبخ بعد ذلك بدقائق قليلة وقدحمل كوبين انه تغير منذ لقائهما الاول ... تخلص من تلك النظرة اللعوبة وبدا أكثر قوة ولم يؤثر فيه أثار الاسابيع الخمسة الاخيرة من العمل المضني كما كانت تؤثر فيه ليالي السهر السابقة وايام البطالة.
سألته بعد ان جلس:
« هل قلت للآخرين، انك تنوي أن تعيش هنا ؟»
« لا ... ولكنني قلت وداعا ... وتركت السفينة في

ميناء فورت دي فرانس ولم أصرح لهم بوجهتي.»
« ألم يضايق ذلك تارا مونتيفالكو؟»
أجاب ساخرا:« فقط لانها اعتادت التخلص من ضيوفها عندما تتضايق منهم، وليس حين ما يقررون هم الانصراف عنها.»
لم تستطع ان تقاوم فضولها. فسألته:
« ألم تكن بينكما قصة حب؟ ولو الى حد ما؟»
أجاب بدون أن يدير رأسه:« لم يكن بيننا شيء من ذلك. فالحب يا شارلوت لا يحصل لكل شخص.»
« ألا تريد ان تتزوج ويكون لك أطفال؟»
« لست حريصا على ذلك بشكل خاص.»
« ولكنك، هكذا ... تصبح وحيدا في شيخوختك.»
« عشت وحيداً معظم حياتي ... وأفضل أن أعيش كذلك.»
وحاول ان يغير الموضوع قائلاً:
« ما رأيك في النزول الى البحر قبل الغداء؟ هل احضرت معك شيئا من الطعام؟ إذا لم تكوني قد فعلت فبوسعي أن أعد بعض المأكولات.»
كانت شارلوت قد احضرت معها طعامها العادي برغم انها لم تكن تعتزم ان تأكله على الجزيرة ولكن بعد ان افصح عن شخصيته زال شعور العداوة وأصبحت تحس بدلا من ذلك بالعطف والفضول، وقالت:
« نعم، أحضرت بعض الطعام ، ولكن اذا كنت لم تعمل قبل الآن فكيف تستطيع ان تمارس الطهو وتنجز كل هذا العمل؟»
« ربما لم يسبق لي العمل بالمعنى المتعارف عليه،

www.liilas-romancia.com

ولكنني لم أكن كسولاً. فلقد مارست أشياء كثيرة.»
« مثلاً؟»
« مثل التسلق والطيران والتزحلق على الماء. وغيرها.... لننزل الى الماء!»
كانت شارلوت قد أمضت شطراً كبيراً من حياتها في البحر فاتقنت الغوص الى مسافة ثلاثين قدماً... وكانت تستطيع البقاء تحت الماء الى ما يقرب من ثمانين ثانية. وأدهشها أن وجدت وليام على المستوى نفسه. لم يكن هناك مكان في البحيرة تصل اليه وإلا يلحق بها وكل منهما يرى شبح الآخر يلقي بظلاله على قاع البحر.
ولم تستطع أن تكتم إعجابها ببسالته الفائقة التي لم تكن تتوقعها، قالت وهما يتناولان الطعام:
« أستطيع أن أقرر الآن ان بوسعك ان تجد سبيلك لكسب رزقك، فبامكانك ان تكون صائد محار.»
ابتسم وقال:«تقصدين ان ابيع المحار الى السيّاح.»
« لا ... لا ... أقصد المحار أو الاصداف الصغيرة التي تحتوي اللآليء . يمكنك ان تصطاد الاصناف النادرة التي يطلبها الهواة.»
« كم تساوي المحارة النادرة اذا استطعت ان تعثري على واحدة ؟»
« عثر أحدهم على محارة نادرة يطلق عليها لقب مجد البحار وبيعت بأربعمائة جنيه ... انها من أثمن أنواع المحار في العالم. وما وجد منها قبل الآن لا يزيد على خمس وعشرين واحدة.»
بدا عليه الاهتمام، وسألها:
« أين؟ في البحر الكاريبي؟»

« لا! المجد من سلالة ترجع الى جزر الهند الشرقية... ولكن مع ذلك توجد محارات نادرة في المياه. وحتى تلك التي تعتبر شبه نادرة مثل المحار الذي يطلق عليه اسم الملك فينوس والمحار الحلزوني تقدر بمبالغ طائلة وخاصة إذا كانت سليمة.»
« هل تجمعين المحار ؟»
« لا أجمعها وهي حية... لا احب أن أتسبب في قتل الحيوانات التي تعيش فيها. ولكنني أحتفظ بالمحارات الفارغة التي أجدها ولدي كميات كبيرة منها.»
« اعتقد انني كنت ممن يبحثون عن المحاروأنا صبي ولكنني لا أذكر ذلك الآن.»
« بإمكانك أن تحصل على كتاب وتدرس كل شيء عن انواع المحار وستجد فيه ما يشغلك خلال فترة المساء ، وربما أصبحت متخصصاً في هذا العلم.»
نظر اليها في صمت لعدة لحظات ثم قال:
« أتريدين ان تساعديني يا شارلوت؟»
وأجابت:
« انه مجرد اقتراح ... وإذاكنت تعتقد أنه اقتراح سخيف... »
« على الاطلاق، بل انه لطيف جداً منك ان تبدي هذا الاهتمام ... وربما أخذت بنصيحتك، وسأضعها موضع الاعتبار.»
حين حان وقت رحيلها فقالت:« هل اعود مرة أخرى؟»
« في اي وقت تريدين طالما أن أسرتك تعرف بذلك.»

« ولكن الجزيرة ستكون مكاناً مأموناً طالما أنك هنا.»

كانا يقفان الى جانب قاربهما، وقد بلغ الماء خصرهما. حملها الى القارب وهو يقول:

« ربما يصر بعض الناس على انها ليست مكاناً مأموناً بعد، واعتقد انني لست الرفيق المناسب لفتاة شابة بريئة.»

« لو كنت سيئاً حقاً لما همك ان يعرف والداي، وفي اي حال فقد قابلتك أمي وأحبتك.»

« لا أظن انها كانت تفعل ذلك لو عرفت انني قد عانقت ابنتيها... وربما حدثتك أختك عن هذا.»

قالت شارلوت في صراحة:

« نعم... وكانت غاضبة ... إنها تكرهك!»

« وهذا يوضح انها أكثر تعقلاً منك يا طفلتي.»

« كلا ... فقد أحبت فلافيا جون، أما أنا فلم أثق به على الاطلاق.»

اضافت بنبرة قوية:« ثم انني لست طفلة.»

وأومأ قائلا:«حسنا. انك لست طفلة ... ولكن من الافضل ان يكون لك أصدقاء من سنك.»

« مثل جون؟»

« جون مثال سيء للجيل الذي ينتمي اليه، ولكن من المؤكد ان هناك العديد من الشبان ذوي الخلق الطيب.»

« ليس في هذه المنطقة، وفضلا عن ذلك...»

توقفت فشجعها على مواصلة الحديث قائلاً:

« وفضلاً عن ذلك ...»

كانت تعتزم ان تقول: وفضلاً عن ذلك فإنه لو كان

هناك شبان فان ابي لن يسمح لنا بالاختلاط بهم. ولكنها بدلا من ذلك قالت:

« لا شيء، ينبغي ان انصرف الآن، وداعاً!»

* * *

في اليوم التالي لعيد ميلاد شارلوت السابع عشر في نهاية ذلك الشهر ... كسرت ساقها اليمنى .... ولحسن الحظ كان الكسر بسيطاً، ولم يمض وقت طويل حتى استطاعت ان تتحرك بصعوبة في البيت وعلى الشاطىء وإذ وضعت ساقها في الجص كان من الصعب عليها ان تركب زورقها الصغير.

وعندما شفيت ساقها كانت قد مضت فترة تصل الى عشرة اسابيع منذ آخر مرة زارت فيها الجزيرة.

وفي اليوم التالي لازالة الجص كانت تجلس في مرفأ الميناء تفكر فيما إذا كان وليام قد احس بشيء من الحيرة بسبب غيابها الطويل، او انه لم يهتم على الاطلاق، وحينئذ لاح على مرآى البصر قارب بمحاذاة الشاطىء، وعرفته فوراً، انه قارب الصيد الازرق الذي كان يمر متجهاً نحو الجنوب وكاد قلبها يقنط من اليأس ولكنه حول طريقه واتجه نحو الميناء، لمعت عيناها وعادت اليها حيويتها وانتظرته لتمسك بحبال المرساة. أحست بأن السماء اكتست بزرقة صافية وان مياه البحر قد زادت لمعاناً وأصبحت التلال أكثر خضرة.

قال وليام عندما أدركها في الميناء:

« أهلا ايتها الغريبة ! كيف حالك؟»

« انا بخير ... وكيف حالك انت الآن؟»

« عـلـى مـا يـرام! مـاذا حـدث لـسـاقـك؟»
« لقد كسرت، وكانت في الجص ... وهذا هو سبب عدم زيارتي للجزيرة.»
« يا لك من مسكينة ! يا لسوء الحظ! ومع ذلك فإنها تبدو كأنما لم يصبها اذى.»
وجلس القرفصاء لينظر اليها، وقال:
« اين كان الكسر؟»
وقفت شارلوت على اليسرى، ورفعت اليمنى لتحدد له بالضبط أين كان الكسر.
وتحسس وليام بأصابعه مقدمة ساقها، وقال:
« ولكن كيف حدث ذلك؟»
« كنت ألهو مع الاولاد وسقطت عن سطح المطبخ.»
علق قائلا:« كبرت على هذه الالعاب والشقاوة التي تخص الصبيان.»
« نعم ... فعمري سبعة عشر عاماً الآن.»
وضعت قدمها على الارض وتركت يدها على كتفه للحظة اطول ، وأحست بأن كتفه قوية كالصخر.
ونهض يقول:« حقا بلغت السابعة عشرة؟ كنت أحس بأن هناك شيئا تغير فيك. أما كان ينبغي ان تلبسي قبعة ؟»
« قبعة ... لماذا ؟»
« لتمنعي تجاعيد الوجه من الظهور ... فالنساء عندما يكبرن لا يستطعن ان يهملن مظهرهن كما تفعل فتيات السادسة عشرة.»
صاحت تقول:« أوه. إنك متوحش !»
استأنف الحديث قائلاً:« كنت أظن أنك لم تحضري لأن والديك لم يسمحا لك بذلك.»

« هل افتقدتني؟»
« كانت هناك لحظات أحسست فيها انني بحاجة الى ان أجد شخصاً اتحدث اليه... حتى لو كان هذا الشخص انت.»
« أشكرك كثيراً ... اذا كان هذا شعورك فلن افكر في زيارتك مرة أخرى.»
« افهم من هذا ان والديك وافقا على ان تزوريني؟»
« لم اطلب اليهما ذلك بعد ... فلم يكن لهذا الطلب معنى حتى تتحسن رجلي.»
« اذن سأطلب اليهما انا بنفسي.»
وبدأ يسير قرب الميناء، فأمسكت بذراعه تقول:
« هناك شيء لا تفهمه.»
« هل تعنين ان والدك من المعارضين للصداقة بينك وبين الآخرين؟»
« نعم الى حد ما ... وكيف عرفت ذلك؟»
« أحسست به إحساساً داخلياً.»
« قد لا يكون لطيفاً تجاهك ولكنه لا يقصد ان يكون فظاً، والامر لا يزيد عن كونه متقلباً بعض الشيء.»
« هكذا يكون الاذكياء أحياناً.»
وربت على يدها يطمئنها:« لا تقلقي! فلن اسبب له اي ضيق.»
كانت تخشى ألا يصمد وليام للعداوة التي يظهرها والدها لأي شخص غريب إذا ما أحس نحوه بشيء من عدم التقبل.
وظهر رافاس مارتن في الشرفة المكشوفة وهما يسيران تجاه المنزل فأحست بشيء من الذعر... وبدأ

يهبط الدرج ليقابلهما ... كانت شارلوت تأمل في ان تكون أمها موجودة في تلك اللحظة حين يتقابل الرجلان. وأخذ والدها يتفحص وليام. بنظرة غير ودية ولكن وليام صمد ولم يبد عليه اي اضطراب، وقال:

« أأنت السيد مارتن؟ أنا هاملتون الذي يسكن جزيرة مانغو. كنت أقرأ كتابك عن تاريخ جزر الاتيل الصغرى ولدي بعض الوثائق التي كنت أعتزم تقديمها الى متحف فكتوريا الملكي، ولكن خطر لي انك ربما تجد فيها ما يهمك، وقد تستحق ان يشار اليها في الطبعة المقبلة من مؤلفك!»

« هاملتون! جزيرة مانغو! المعروفة باسم جزيرة سوليفان على ما اعتقد ؟ والتي تقع على الساحل على مسافة من هنا. كنت أظن أنه لا يقطنها أحد.»

« الى وقت قريب مضى، ولكنها لم تعد كذلك الآن، فأنا أقطن هناك وان كنت لا اريد ان اذيع النبأ، وأرى ان ما يشاع عن الجزيرة من انباء مخيفة يعتبر في الوقت الحاضر ميزة من وجهة نظري، لأنني أريد ألا يقطع أحد عليّ هدوئي.»

نظر الى شارلوت، وواصل حديثه قائلاً:

« ومع ذلك فليس لدي اعتراض في ان تحضر ابنتك الى الجزيرة من حين الى حين. فقد فهمت أنها تهتم بدرجة واضحة في مجال دراستي، الرخويات البحرية.»

وأحست شارلوت بشيء من المفاجأة عندما نسب اليها الاهتمام بمجال دراسته. وكان لذلك أثر الدهشة على ابيها .... وبدلاً من أن يسأله كيف ومتى

بدأت الصداقة بينهما، ولماذا لم تحدثه ابنته بذلك دعاه الى الدخول وطلب الى شارلوت ان تحضر له بعض الشراب، وكانت هذه اول مرة ترى فيها شارلوت والدها على هذه الدرجة من الكرم.

وعادت أمها ومعها فلافيا من مهمة كانتا تقومان بها في القرية، وقال قبل أن يقدم رافاس زوجته اليه:« تقابلنا أنا وزوجتك من قبل، فقد حضرت الى هنا مرة ولكنك لم تكن موجوداً، كيف حالك يا سيدة مارتن؟»

ابتسمت في شيء من التشكك، وقالت:

« كان ذلك يوم اخذناك الى المستشفى يا رافاس، وقد نسيت أن أخبرك.»

« كل ما قيل عن ذلك المرض كان ضجيجاً لا مبرر له، انا بصحة كاملة. ما رأيك في ان تتناول الطعام الآن معنا يا هاملتون؟»

لم يدرك وليام ان الآخرين حوله كانوا قد صعقوا من المفاجأة لتلك الحرارة النادرة التي أبداها الوالد تجاهه، وأجاب:

« أقبل الدعوة بكل سرور شرط ألا يسبب هذا ازعاجاً لبرنامج المطبخ.»

علقت هيلين:« ليس هناك اي ازعاج.»

وقال زوجها:

«هيا بنا الى المكتبة لنتحدث في حرية هناك.»

مضى الرجلان، وأسرعت هيلن الى المطبخ لتعطي بعض التعليمات الى فيوليت، ثم عادت وقالت:

« فلافيا، انهضي وأحضري بعض الازهار للمائدة! شارلوت. اسرعي لمعاونة فيوليت، من حسن الحظ ان

العشاء سيتأخر حتى الثامنة. وكنتِ أتمنى ان يكون هناك متسع من الوقت لنصنع شيئاً خاصاً.»
طمأنتها شارلوت:« لا تتضايقي يا حبيبتي. فان وليام لا يكترث بما يقدم له على المائدة.»
كانت شارلوت على صواب، فقد شكر وليام مضيفته قبل ان ينصرف بحرارة قائلاً:
« كانت هذه افضل وجبة قدمت لي لأسابيع طويلة مضت يا سيدة مارتن، قد تعلمين انني أعيش عيشة على جانب كبير من البساطة والقسوة في الوقت الحاضر، ولكنني اتمنى أن ارد كرمك عندما تنتظم حياتي.»
التفت الى زوجها قائلاً:
« قد لا اجد الفرصة للحضور لفترة معينة وفي الوقت نفسه لا اود ان ارسل اليك هذه الوثائق بطريق البريد فقط يكون من المناسب ان يحضر أولادك لأخذها.»
أجاب رافاس:« بالتأكيد ... بالتأكيد ... وليكن ذلك غداً إذا كان يناسبك.»
« حسناً ... ولكن قد يكون من الافضل ان يعهد الى شارلوت بذلك. فالطريق خلال الجزيرة وعر بعض الشيء ولها به خبرة من قبل.»
كانت شارلوت تظن ان وليام سيكون في انتظارها عندما تصل الى جزيرة سوليفان في صباح اليوم التالي، ولكنه لم يكن هناك، ومع ذلك اتجهت الى منزله وصارت تنادي :« يو ... هو ... انا هنا !»
ولكن أحداً لم يجب ... ولم تمض لحظات حتى هبط الهر مسرعاً عبر الدرج وأخذت شارلوت تداعب أسفل ذقنه قائلة:

« أهلاً... يا أوليفر ... اين سيدك؟»
ونادت ولكنها لم تحظ باجابة للمرة الثانية ... اجتازت المطبخ الى الباب الخلفي ووضعت يديها حول فمها وصفرت صفارة نداء ولكنها لم تسمع إجابة من خلال الاشجار، كانت الاشجار ساكنة كما عهدتها عندما كانت تأتي وحدها الى هناك، فيما عدا صوت أنفاس أوليفر ... ونظرت الى الهر تقول:
« ليس معقولاً أنه ما زال في الفراش.»
وقررت ان تصعد الى الطابق العلوي لترى اذا ما كان قد استغرق في النوم، لم تكن غرفة النوم مغلقة بالمفتاح، نقرت على الباب وانتظرت بعض الوقت ثم فتحته، كان الفراش يدل على انه قدامضى ليلة قلقة ولكنه لم يكن هناك الآن.
فكرت في ان وليام لا بد ان يكون موجوداً في مكان قريب ، فالفراش والصندوق والحقائب والمصباح على الارض، كانت الاشياء الوحيدة الموجودة في غرفة النوم وكانت الغرفة تعكس مظهر حجرة خالية في بيت مهجور. لا بد ان اعصاب وليام من حديد او انه لا اعصاب له. أيكون باستطاعته ان يواصل العيش هنا من دون ان تؤثر فيه الوحدة او القلق؟
أحست بالضيق والحيرة بعدما بحثت في سائر الغرف وفي جزء كبير من الجزيرة بلا جدوى.
هل تعمد أن يختبىء؟ هل أراد شيئاً من المزاح؟
واستبعدت الفكرة، أيمكن ان تكون وقعت له حادثة كالسقوط من فوق شجرة او جرح جرحاً بليغاً وهو يقوم بإزالة الشجيرات والاعشاب ؟
أحست بذعر حقيقي ، وأخذت تعدو بأسى ما تستطيع

بدون اكتراث بالجروح والخدوش الناشئة عن اختراق ذلك الممر غير الممهد، وهي تخشى ان تتحقق مخاوفها.

قادها الممر الى الشاطىء الثاني للجزيرة ، لم تكن شارلوت قد تزوره مرة على ان تزور مة ثانية بعد الاستكشاف الاول الذي قامت به للجزيرة بسبب الشجيرات الكثيفة والاعشاب التي كانت تجعل الوصول اليه صعباً . كان من الممكن الوصول الي المكان عن طريق البحر ولكنها كانت تخشى ان يلحظ قاربها بعض المتسكعين على الرصيف في قرية الصيد على الجانب الآخر من القناة لو سلكت هذا الطريق.وأخذت تهرول على الطريق الحلزوني الضيق وهي تتوقع عند كل انحناءة ان تصل الى نهاية الممر ولكنه ادى في النهاية الى الشاطىء الصغير، وهناك كان وليام يرقد ممدداً على الرمال. أحست بالذعر عندما رأته كان يرقد على بطنه وقد اسند رأسه على احد ذراعيه.

انحنت فوقه وهي تلهث فتململ في مكانه. لم يكن فاقد الوعي وإنما كان فقط مستغرقاً في نوم عميق. جثت على ركبتيها تختلس النظر الى وجهه فاستدار جانباً بحيث ظهرت إحدى وجنتيه.

كان من الواضح انه لم يحلق ذقنه منذ زيارته لبيتهم في اليوم السابق وكان يبدو كما رأته لأول مرة، رموش عينيه طويلة وكثيفة كرموش فلافيا وأنفه مقوسا بارزا ينم عن القوة والرجولة. وبدت بشرته قاتمة كبشرة فيوليت ولكنها غير مكتنزة بالدهن مثلها.

مست شارلوت بأصابعها عظام كتفه في لطف وهي تقول:« انهض يا وليام!»

تحرك ببطء، وهو يتمتم مستفسراً من دون ان يفتح عينيه:« هم؟»

وكررت:« وليام! استيقظ!»

كانت يدها لا تزال على كتفه، على استعداد لتوقظه بطريقة أكثر قوة.

كان مستغرقاً في النوم، ودهشت عندما استدار فجأة على ظهره وجعل يده تتسلل الى ذراعها وتجذبها نحوه قائلا:« كم الوقت الآن؟»

أحست بشيء من الاضطراب جعلها تعجز عن ان تجيب على الفور، ولم يكن بوسعها ان تخلص نفسها لتفرد قامتها.

وخرج من شارلوت صوت بين اللهاث والتنهيدة وفتح وليام عينيه فتكور جسمه كأنما أصابته طعنة رمح وفي حركة سريعة خفيفة جلس قائلاً:« ما الذي تفعلينه؟»

« لم أفعل شيئاً ... على العكس ... انت الذي فعل ... كنت أوقظك.»

« حسناً... إذا اردت أن توقظيني فعليك ان تركليني بقدمك.»

« لقد مسست كتفك ... ولكنك استدرت فجأة وجذبتني ... لا بد انك كنت تحلم ... لا بد أنك ظننت أنني تارا.»

نهض وهو يقول:

« لا ... لقد ظننت ... نعم! ... محتمل ... لا استطيع ان اتذكر ... انا آسف ... لا بد انني سببت لك

بعض الانزعاج... اعتذر ... كم الساعة الآن؟»
« حوال الحادية عشرة على ما أظن، جئت مبكرة على غير العادة.»
« هل تأخرت الى هذا الحد؟ اصنعي بعض القهوة بينما اقوم بحلاقة ذقني .»
وأخذ يشق طريقة تجاه المنزل أمامها .
وعندما اقتربا من المنزل، قال:
« لن اتأخر أكثر من خمس دقائق ، وأنا اشرب قهوتي من دون حليب.»
وعندما هبط الدرج كان يرتدي قميصاً وبنطلوناً قصيراً. وقد مشط شعره، وقال:
« ارجو ألا يضايقك اذا كنت سأحلق ذقني هنا.»
هزت رأسها بالنفي.
ووقف يحلق ذقنه امام مرآة صغيرة معلقة على مسمار ثبت في الحائط.
شردت بفكرها لحظة وتذكرت انها قد عرفت خشونة تلك الذقن مرتين بينما اختها فلافيا وهي في التاسعة عشرة من عمرها لم تعرف سوى قبلة ناعمة على وجنتيها وأحست بأنها بذلك اكثر خبرة وسعادة .
قطع وليام افكارها قائلاً:
« انتبهي فالغلاية تغلي على النار!»
أحست انه بذلك قد جعلها للمرة الثانية تشعر بأنها ما زالت صغيرة لم تنضج بعد .
سألته وهي تعد القهوة:
« أحقاً لديك بعض الوثائق التي قد تهم ابي؟»
« بالطبع ... وإلا فلماذا قلت ذلك اذا لم يكن عندي؟»

« حسناً! كان أسلوبك وأنت تتحدث كخبير في علم دراسة المحار.»
« كلا على الاطلاق ... قلت فقط انني ادرس الرخويات البحرية وهذا صحيح. وأعرف عنها الآن أكثر بكثير مما كنت أعرفه عندما كنت هنا في المرة السابقة.»
وقدم لأوليفر بعض الحليب المحفوظ وأخذ يشرب قهوته.
قالت شارلوت:« كيف أحبك ابي؟ أنت يا من ...»
وأكمل لها:« أنجح في التعامل مع كل الناس.»
« حسناً ربما تتهمني بالوقاحة. ولكنني لم أكن أقصد ذلك، فقط أقصد القول ان ابي عادة لا يحب اي شخص غريب ولم أكن أعتقد انك ستشذ على القاعدة لانك انت وهو على النقيض، قطبان متنافران.»
« بالنسبة الى المرض الذي أشارت اليه أمك والذي قال والدك انه شيء تافه ... ماذا كانت أعراضه؟»
سردت شارلوت ما سبق ان اخبرها به شقيقها وما شهدته بنفسها ثم قالت:« لما تسأل؟»
« لأنني أحسست أن والدك يعاني من حالة قلق ومن الضروري ان يهتم بوضعه الصحي وأرى ان تقنعوه بأن يضع نفسه تحت الرعاية الطبية.»
« انه عنيد للغاية، حاولت امي ذلك، ولكنه لا يقتنع، لا اريد ان اتحدث عن ابي هكذا ... فأنا أحبه كثيراوكلنا نحبه.»
شرب وليام فنجانه بدون ان يترك فيه بقية ثم قال:« نسيت ان أحضر لك الاوراق ... سأصعد لأحضرها الآن.»
وعندما رجع قال:

« لديّ ارتباط بالذهاب الى المدينة اليوم يا شارلوت ويؤسفني أنني لا أستطيع ان ادعوك لتناول الطعام.»

كانت شارلوت تتوقع ان تمضي اليوم كله على الجزيرة ولم تستطع ان تخفي إحساسها بالاحباط.

أعطاها المغلف الكبير الضخم المحفوظ في حقيبة من البلاستيك وسارا معاً الى البحيرة، وقال لها عند حافة الماء:

« تعالي كلما استطعت ذلك، فأنا لا أخرج كثيراً ومرحباً بك دائما.»

وابتسمت وهي تقول:

« حسناً ... أشكرك ... الى اللقاء يا وليام!»

وهذه المرة لم يحملها الى زورقها واكتفى بأن قال:

« وداعاً.»

ثم اعتلى قاربه وقال:

« انت اولاً...»

وكان يعني بذلك انها ينبغي ان تسبقه بقاربها عبر القناة.

احست شارلوت احساساً لا يكذب ان قصة ذهابه الى المدينة لم تكن إلا كذبة بيضاء للتخلص منها ... وانه ر بما قام بجولة قصيرة في القرية ثم عاد الى الجزيرة. كانت في حيرة بسبب تلك المناورة وهي تعبر المنطقة المعروفة باسم اولدمانز بوينت لتقترب من الميناء فلم تلحظ احداً يخرج مسرعاً من بيت مارتن ويهرول الى الشاطىء ليقابلها. كانت فيوليت تقول في صوت غريب أجش:« أسرعي يا حبيبتي. أسرعي!»

واكتشفت شارلوت ان فيوليت كانت تبكي وترتعد في تأثر بالغ وصاحت شارلوت:« ما الخبر؟ ماذا حدث؟»

وساعدت شارلوت لتصعد الى الميناء ثم أمسكتها من ذراعيها وقالت في صوت غالبه الحزن:

« انه أبوك يا طفلتي ... ساءت حاله بدرجة كبيرة. ونقلته سيارة الاسعاف الى المستشفى ... ذهبت أمك معه ثم أخذت فلافيا الاولاد في سيارة تاكسي وهناك تاكسي آخر في انتظارك يا عزيزتي ... ليس أمامنا وقت ... سأذهب معك!»

مات رافاس مارتن قبل الغروب من دون ان يستعيد وعيه بعدما اصيب بالنوبة القلبية الثانية التي كانت أكثر خطورة من الاولى ودفن ظهر اليوم التالي، وعادت أسرته التي فاجأتها الصدمة الى البيت.

ظلت هيلين مارتن لأيام عديدة تبدو كأنها لم تتأثر لوفاة زوجها. كانت تواسي الاطفال وفيوليت وتقوم بأعمالها العادية او تجلس على الشرفة تحدق نحو البحر في هدوء غير طبيعي بعينين لا تدمعان.

وفي احدى الليالي أيقظ كيث شارلوت باكياً يقول:

« ماما تبكي! ماذا نفعل؟»

أيقظت شارلوت فلافيا. وذهب الثلاثة الى غرفة امهم. لكن الباب كان مغلقاً ولم تسمح لهم بالدخول ووقفوا لفترة طويلة امام الباب يستمعون بلا حول ولا قوة الى نحيبها المكتوم وأخيراً ذهبوا الى الفراش، أخذت شارلوت تعانق كيث وتطمئنه حتى نام بين ذراعيها.

كان وجه هيلين في الصباح التالي يبدو وقد انهكه

الحزن، لكنها تخلصت من النظرة الشاردة في عينيها. وأحست شارلوت بأن تلك النظرة اكثر اقلاقا من النحيب العنيف طوال الليل.

ذهبت هيلين الى غرفة مكتب زوجها بعد الافطار ومكثت هناك تفحص اوراقه حتى وقت الغداء.

بعد الوفاة بحوال أسبوعين، وكانت قد ارسلت الاولاد الى المدينة بقائمة للطلبات، أخبرت ابنتيها انها تريد ان تناقش المستقبل معهما وبدأت تقول:

« أرى انه من اللازم ان ننظر الى المستقبل وان كنا لا نشعر بالرغبة في ذلك ... لا اريد ان يحمل الاولاد الهم ولكنكما انتما الاثنتين أصبحتما كبيرتين الآن بدرجة تؤهلكما لمواجهة الحقائق أيا كانت ... بل أرى انه من الواجب ان تشاركا بالرأي في اتخاذ القرارات الهامة. ان ما لدينا من النقود لا يكفينا إلا لأشهر قليلة، والمال الوحيد الثابت الذي نملكه هو هذا البيت وهو لا يساوي كثيراً في الوقت الحاضر ولكن قيمته قد ترتفع كثيراً اذا ما قام شخص باستثمار الخليج، وأعتقد ان ذلك سيحدث عاجلا أم آجلاً لانه من أجمل المناطق في الجزيرة. لكننا لا نستطيع ان نعيش على ذلك الامل فليس لدينا الوقت ... اذن سيكون علينا ان نقبل أعلى مبلغ يقدم لنا ثمناً ونعود الى انكلترا، ولدينا مبلغ قليل في البنك ... أما ثمن البيت فينبغي ان يغطي تكاليف رحلة العودة على احدى سفن الشحن.»

« ولماذا انكلترا؟ لم لا نذهب الى الولايات المتحدة؟»

قالت ذلك فلافيا ... وكانت ترى ان نيويورك هي

المكان الذي تطمع به. وأحست شارلوت بالروع اذا رأت أمها تفكر في العودة الى الوطن فقالت:

« هل هذا ضروري يا أمي؟ المطر يسقط دائماً في انكلترا، واعتقد انها الآن أكثر سوءاً عما كانت حين هجرتها انت وابي.»

كانت شارلوت قد عقدت صداقات مع عدد من سكان الجزيرة الذين هاجر بعضهم الى انكلترا وبرغم انهم كانوا يستمتعون بالحياةهناك فان وصفهم في الرسائل أقنعها بأنها سوف تشمئز من الحياة هناك.

علقت هيلين في ابتسامة باهتة:

« المطر لا يسقط هناك دائماً يا حبيبتي ... والطقس في بلادنا لطيف وعلى كل فانكلترا ليست كاملة، بل ليس هناك مكان يتوفر له الكمال، ولكنها افضل من أماكن عديدة عن انها وطننا الذي ننتمي اليه.»

علقت شارلوت:« انا انتمي الى هنا.»

ردت فلافيا:« لحسن الحظ انا لا انتمي الى هذه المنطقة.»

علقت الام:

« ألا تريان أنكما تتمركزان حول نفسيكما؟ ألم تنسيا الصبيان؟ أعتقد ان انكلترا هي أفضل مكان لهم.»

كن يجلسن على السرير في غرفة هيلين ودخلت فيوليت لتخبرهن ان السيد هاملتون في الخارج ينتظر ان يقابل السيدة مارتن، وقالت هيلين:

« لا بد انه سمع بخبر الوفاة وانه جاء للتعزية.»

قالت فلافيا:« هل نعتذر بأنك نائمة؟»

« لا، من الافضل ان اقابله، ويمكنكما ان تحضرا كذلك.»

وبدا ان وليام لم يكن قد سمع الخبر فلم يظهر بمظهر من جاء ليبدي التعزية، وألقى عليهن التحية قائلا:
« طاب وقتكن.»
ثم قال لهيلين:« جئت اطلب مساعدتك يا سيدة مارتن، هل بوسعي ان اتحدث اليك حديثا خاصا؟ ربما استطعنا ان نتمشى علي الشاطىء لمدة خمس دقائق؟»
« لا بأس إذا كنت تريد ذلك.»
تمتمت فلافيا بعد ان مضت أمها مع وليام تقول:
« ماذا يريد يا ترى؟»
علقت شارلوت:« وكيف أعرف؟»
رفعت شار لوت نفسها عن الدرابزين الذي يحيط بالشرفة وجلست وظهرها يستند الى احدى الدعامات التي ترفع السقف وقالت:« أما زلت تكرهينه ؟»
« نعم!»
« لماذا!»
« انت تعرفين ذلك؟»
« أرجوك ان تقولي لماذا؟»
« النمر لا يغير البقع التي على فرائه ... لا أثق به!»
« انه الصديق الوحيد.»
« قد يكون صديقك ... ولكنه ليس صديقي.»
كان على الفتاتين ان تحبسا رغبتهما في الاستطلاع لأكثر من خمس دقائق، وظل هاملتون وهيلين يروحان جيئة وذهابا حوال نصف الساعة على الشاطىء مشغولين بحديثهما الخاص، وتوقفا عند نقطة معينة ووقفا ينظران تجاه البيت لعدة دقائق قبل يستأنفا تجوالهما، توقفا بعد ذلك للمرة الثانية،

وجلس وليام القرفصاء وبدا كأنه يرسم علامات على الرمل المبتل على خط المد والجزر، والى جانبه انحنت السيدة مارتن تتابع ما يقوم به.
دمدمت فلافيا في قلق تسأل:
« ماذا يناقشان، وايا كان موضوع المناقشة انا لا افهم لماذا لا يسمح لنا بالمشاركة؟»
نزلت شارلوت من مكانها وهي تقول:« انهما عائدان...»
وعندما اقترب هاملتون وهيلين نظرت شارلوت الى وجه أمها تحاول ان تستطلع ما يساعدها على استشفاف موضوع المحادثة السرية بينهما.
قالت هيلين وهي تصعد الى الشرفة:
« تعالا واجلسا يا ابنتي.»
وبدا كأنها في شبه مأزق:
جلست شارلوت وفلافيا تحدقان تجاههما ، واستند وليام الى الدرابزين وأشعل سيكارا.
بدأت هيلين تتحدث قائلة:
« يعرف السيد هاملتون بخبر وفاة والدكما ... ولقد فكر في اننا قد تصادفنا بعض المصاعب، واقرح احد الحلول لمشكلاتنا.»
وأضاف هاملتون:
« ولمشكلتي أنا ايضاً.»
نظرت اليه هيلين تقول:«هل انت متأكد تماماً من ان...»
قاطعتها فلافيا:
« ارجوك ان تتجهي الى الموضوع مباشرة يا ماما؟»

بادر وليام الى اشباع فضولهما قائلاً:
« باختصار ... طلبت الى امكما ان تحضروا جميعاً لتعيشوا معي في جزيرة سوليفان.»
« اوه ... لا!»
« اوه ... نعم.»
أجابت الفتاتان بالدرجة نفسها من القوة ولكن التناقض بين رد فعلهما كان واسعاً للغاية فقد احست فلافيا بالرعب بينما عبرت شارلوت عن الترحيب الكامل.
سأل وليام بنبرة يغلبها المزاح:
« ولم لا يا آنسة مارتن؟»
« لأنني لا اريد ان أصبح سجينة في جزيرتك ، انا أشعر بالمرض لأننا منعزلين عن كل شيء. اريد ان أعيش كما يعيش الآخرون.»
صاحت هيلين توبخها:« فلافيا!»
وأصرت فلافيا على مواصلة الكلام قائلة:
« أريد أن أحصل على عمل ... أريد ان أعتمد على نفسي.»
علق وليام بجفاء:
« بالطبع... ولكن ذلك سيكون من الصعوبة بمكان إذا لم تحصلي على مؤهلات. لماذا لا تدعين أمك تشرح فكرتي بالكامل قبل ان تتخذي قرارك؟»
علقت شارلوت تقول:« اعتقد انها مدهشة.»
حذرها وليام قائلاً:« قد تغيرين رأيك إذا عرفت قدراً أكبر من التفاصيل.»

الفصل الخامس

قالت هيلين:« ارجو ان تصمتا، انه لكرم كبير من السيد هاملتون ان يشغل نفسه بمشكلاتنا ، وينبغي ان يكون القرار في صالح الاغلبية.»
قالت شارلوت:« انا آسفة.»
وأصرت فلافيا على عنادها بالصمت.
وجه وليام الكلام الى فلافيا:
« مواردي المالية ليست في حالة طيبة الآن والبيت الذي أسكنه بني ليكون قصراً لأسرة غنية لديها خدم وحشم ... وهو كبير عليّ في أحوالي الراهنة، واعتزم تحويله الى فندق.»
أحس ان شارلوت قد ذعرت، فنظر اليها وقال:
« إذا فكرت جيداً ستجدين أنه مشروع أفضل من مشروع صيد المحار.»
وسكت برهة، ثم قال:« تعودتم على نمط غريب من الحياة يجعلكم بحاجة الى فترة لالتقاط الانفاس قبل ان تتخذوا قراركم بشأن المستقبل. ولهذا دعوتكم لتعيشوا معي اولاً لمدة ستة شهور.»
نظر الى هيلين واستطرد قائلاً:« ربما كنتم تتخيلون ان نمط حياتكم الحالي يمكن ان يستمر لسنين طويلة ولم تفكروا في اي نوع من التغيير.»
أومأت ثم طأطأت رأسها وواصل يقول:
« انا لا استطيع دفع الاجور الباهظة التي قد تقنع السكان المحليين بأن يتغلبوا على مخاوفهم. ولكن بعد ان تعيشوا علي الجزيرة فترة معينة

سوف يدركون ان مخاوفهم وهمية ويقبلون العمل بالاجور العادية. وسوف تعاونني في تنظيم المنزل ولن يتطلب ذلك قدراً كبيراً من المهارة، فأغلب العمل يدوي ، وسبعة أشخاص أفضل من شخص واحد . ليتنا نكون ثمانية إذا قبلت فيوليت الذهاب معنا.»

واعترضت فلافيا:« انك تريد ان تنقلنا من القدر الذي فوق النار الى النار ذاتها. لقد مللنا الحياة هنا... وعملنا كخدم مسخرين لن يكون أفضل حالاً.»

انبتها هيلين قائلة:« فلافيا! ماذا جرى لك؟»

« لم اكن أجرؤ فيما قبل على ان أعبر عن رأيي ... أنا اكره هذا المكان، فلقد حرمني من المزايا التي تستمتع بها الفتيات الاخريات... هذا ليس عدلاً!»

كررت العبارة الاخيرة وانفجرت باكية، وانطلقت الى داخل البيت.

اعتذرت هيلين قائلة:« آسفة للغاية يا سيد هاملتون.»

وحاولت ان تنهض ولكنه وضع يده على كتفها قائلا:« لا تنشغلي ! دعيها! انا أقدر مشاعرها، انها مسكينة، هل تأذنين في أن أذهب لأتكلم معها؟ أين غرفتها؟»

« أخشى أن يسير الامر من سيء الى أسوأ.»

« أرجوك ... دعيني أحاول.»

ورغم تشككها قالت:

« غرفة البنات تلي المكتبة ... ولكن ...»

وابتسم قائلاً:« اتركي لي الموضوع!»

وانصرف ... مضت قرابة عشر دقائق قبل ان يعود وفي عينيه بادرة ضحك، وقال:

« كل شيء على ما يرام، وهي تعني تغسل وجهها الآن، لقد حضرت اليوم بطريق البر، والتاكسي ينتظركم إذا قبلتم اقتراحي ، وسيكون بامكانكم العودة قبل الغروب.»

قالت هيلين:

« فكرة رائعة! ليت فيوليت كانت معنا! سأترك ملاحظة للأولاد أخبرهم بمكاننا فقد يعودون قبلنا، هل تبقين يا شارلوت؟»

« أريد ان اذهب معكم!»

كانت فلافيا في غرفة نومها وكان من الصعب ان يظن انسان ان هذه هي فلافيا التي كانت تجهش بالبكاء. كانت روحها المعنوية قد ارتفعت بشكل واضح، وسألتها شارلوت:

« ماذا حدث؟ ماذا قال لك؟»

أجابت فلافيا:« لقد اعتذر.»

« عن أي شيء؟»

« عن كل شيء في تلك الليلة... وعن ابعادي عن الحفل بتلك الطريقة.»

وترددت بعض الشيء ثم قالت:

«وقال ان لي عينين جميلتين، وانني عندما اتعلم أصول الماكياج وانتقاء الملابس سأصبح شيئاً آخر ... انه ليس كريها كما ظننت.»

لم تعلق شارلوت بشيء.

وأثناء الرحلة الى القرية المواجهة للجزيرة جلس وليام الى جوار سائق التاكسي وجلست شارلوت صامتة بين أمها وأختها اللتين اندمجتا معه في الحديث، وكانت تلحظه وهو يلتفت ليجيب

عن اسئلتهما وكانت تسأل نفسها « هل هو مخلص وأمين حقا؟» وخطر لها انها لا تعرفه تمام المعرفة.
وركبوا الزورق عن رصيف الميناء حيث تجمع نفر من الفضوليين من أهل القرية. عندما وصلوا الى الجزيرة أخذت شارلوت تتجول بعيداً وحدها. وأمضى آخرون شطراً من الوقت داخل المنزل قبل ان تعود اليهم. ساورها خاطر بأنه سيكون عليها ان تتعود على ان يشاركها في الجزيرة آخرون، ولم تكن قادرة بعد على التحكم في مشاعرها الغامضة إزاء ذلك.
عاد بهم وليام في قاربه، وقال وهو يعاون السيدة مارتن على السير قرب الشاطىء:
« سأعود يوم الاحد، أمامكم أربعة أيام لتتوصلوا الى قرار.»
عبر الاولاد الثلاثة عن حماسهم للفكرة، أما فيوليت فقد عبرت عن هلعها.
ولم تعر هيلين اهتماماً للمخاطر التي تنبأت فيوليت بأنها ستقع لهم في الجزيرة ولكنها تضايقت لرفضها الذهاب معهم.
قالت فلافيا :« سوف تغير رأيها بعد ان تستقر هناك اسبوعاً أو أسبوعين.»
عرفت شارلوت السبب الذي جعل فلافيا تنتقل من معارض الى مؤيد من خلال حديثهما معاً في الفراش في تلك الليلة حين قالت:
« وعد وليام بأن يعلمني كل الاشياء التي لم أجد الفرصة لتعلمها.»
« وما هي؟»

« المسائل الاجتماعية، مثل السلوك اذا دعيت للعشاء في الخارج ... وما شابه ذلك وسوف يساعدني في الحصول على عمل.»
لم يكن لدى وليام شك في الاجابة التي تنتظره عندما جاء في يوم الاحد... كان قد حضر بحراً ووجدهم تجمعوا في الشرفة ينتظرونه، وعندما أخبرته هيلين أنهم يقبلون اقتراحه قال:
« حسناً، والآن لنناقش التفاصيل!»
وأخرج لفافة من الورق ونشرها على المنضدة قائلا:« هذا رسم يوضح أماكن الاقامة لكل منا.»
التف أفراد الاسرة حوله ليروا الرسم، وقال:
« اقترح ان تشغل السيدة مارتن والبنتان وكيث الصغير الغرف الاربع في الطابق العلوي ، أما روب، وبيتر فيشغلان الغرفة التي كانت مخصصة لغسل الاطباق وسوف أنام على اريكة الغرفة المجاورة للردهة واستخدمها كمكتب أيضاً وتستخدم غرف النوم الممتازة في الطابق الاول للضيوف، هل يناسبكم هذا الاقتراح؟»
علقت هيلين:« بالتأكيد!»
« اذاً، فأول شيء أعمله غداً هو نقلكم الى المدينة لنشتري الطلاء وبعض الادوات، وحالما تجهز غرف النوم يمكنكم الانتقال وسأرتب سيارة لنقل الاثاث الى القرية ، ثم ننقلها بالقوارب الى الجزيرة، وبعد ذلك نعرض هذا البيت للبيع، هل ستحضر فيوليت معكم ايضاً؟»
علقت هيلين في أسف:« لا! ولكن ربما غيرت رأيها فيما بعد.» ثم سألته:

« من كان مالك الجزيرة قبلك يا سيد هاملتون؟»
« لم اشترها، فهناك صلة قرابة تربطني بالمالك الاول وقد ورثتها عنه.»
لم يكن راغباً في الكشف عن طبيعة الصلة بينه وبين المالك الاول لأي شخص فيما عدا شارلوت مما أدخل السرور الى قلبها.
تناول معهم وجبة الغداء، وبعدها خرج مع هيلين في الزورق ليواصلا حديثهما، وقد دار جزء منه حول تعليم الاولاد، فاتفقا على انها اذا ما قررت بعد تجربة الشهور الستة الاستمرار في المعاونة في ادارة الفندق فسوف يرسل الاولاد الى مدرسة داخلية في بارابادوس.
قالت لابنائها:
« قرر السيد هاملتون ان يدفع لكل منكم أجراً متواضعاً ودفع لكم أجر الشهر الاول مقدماً فقد تحتاجون الى شراء شيء غداً.»
اعترضت شارلوت قائلة:« ولكننا لا نستطيع ان نأخذ نقوداً منه ... فليس لديه منها الكثير.»
علقت هيلين:« انه مصمم.»
لم يكن احدهم من قبل قد إعتاد ان يأخذ نقوداً لينفقها كمايشاء، وحصلت فلافيا على المبلغ الاكبر، وشارلوت على أقل قليلاً، والاولاد بمن فيهم الصغير كيث على مبالغ تتناسب مع اعمارهم.
انفقت فلافيا كل نقودها في اليوم التالي. فاشترت فستاناً وزوجاً من الاحذية الانيقة وبعض الاقراط ومجلتين أمريكيتين للأزياء، وعاد الصبيان ايضاً ببرزم متنوعة واحتفظ كل منهم ببعض النقود، عادت

شارلوت ببرزمة كانت ترفض فتحها، وظهر فيما بعد انها بلوزة مطرزة، وعلقت امها:
« ولكنها فضفاضة ، وكبيرة جداً عليك يا حبيبتي ! لماذا لم تقيسيها في المحل؟»
أجابت شارلوت:« انها هدية الوداع لفيوليت، اتظنين انها ستعجبها؟»
« التأكيد . انها تلائم ذوقها.»
سألها وليام:« هل هذا كل الذي اشتريته؟»
« نعم فقد فكرت في ان أدخر الباقي.»
نظر الى أمها، وقال:
« كان عليك ان تسمي هذه الفتاة حكيمة.»
وأمضى أفراد الاسرة بقية الاسبوع في الجزيرة يطلون جدران غرفهم.
في اليوم المحدد للانتقال الى الجزيرة تناول أفراد الأسرة إفطارهم قبل الفجر وأحسوا بالحزن وهم يأكلون وجبتهم الاخيرة في البيت الذي كان مسكناً لهم لسنين عدة برغم أنهم كانوا على عتبة حياة جديدة.
وحضرت الشاحنة بعد الشروق مباشرة لتنقل الدفعة الاولى من الاثاث، قام روب وبيتر بمساعدة وليام والسائق في عملية الشحن، وعند العصر كان البيت قد أصبح خالياً تماماً كما كان عندما حضرت هيلين وابنتاها وزوجها ليسكنوه منذ زمن بعيد. وعندما حانت لحظة الرحيل، أخذت فيوليت تبكي وتشهق لانها لن تراهم مرة أخرى.
ولم ينس وليام، برغم ما عاناه طيلة اليوم من جهد في نقل الاثاث والامتعة بطريقة البحر من القرية الى

الجزيرة، ان يعد لهم وجبة العشاء، وطلب اليهم بعد العشاء مباشرة ان يخلدوا الى الفراش.

قالت هيلين:« ولكن ينبغي ان نغسل الاطباق أولاً.»

علق وليام قائلا:« سوف أعنى بها ... ولا بد ان ترتاحوا، فهناك عمل كبير ينتظرنا غداً. طابت ليلتكم!»

كانت شارلوت بعد العشاء بحوال عشرين دقيقة تقف عند النافذة المطلة على الجزيرة وقد سطع عليها ضوء القمر عندما تسلل كيث الى حجرتها يقول:

« اريد ان انام معك ... لا اريد ان انام وحدي.»

عانقته وقالت:« سوف تعتاد على ذلك يا كيث ... سريعاً.»

« أخشى ان يكون البيت مسكوناً كما قالت فيوليت.»

«لقد نام وليام هنا لأسابيع عديدة ، ونحن في أمان معه.»

واكتفى كيث بأن التصق بها.

« ستنام معي ... ولكن الليلة فقط.»

وفي احد الايام في فترة ما بعد الظهيرة، وكان قد مضى عليهم أسبوع في الجزيرة، ذهب وليام الى الشاطىء ولكنه لم يعد كما وعد في الرابعة مساء. وعندما رجع قالت هيلين:

« بدأنا العشاء من دونك ... أرجو ألا تتضايق.»

« على الاطلاق ... ولقد أحضرت معي شخصاً ... هل لديكم طعام نقدمه اليه؟»

« عندنا فائض كبير ... من حضر معك؟»

وأشار وليام الى شخص خلفه:«فيوليت!»

وقفز الجميع من اماكنهم ليرحبوا بها. وامتلأ المكان بالضجيج أسكتت هيلين اولادها، وسألت:

« هل حضرت لتقيمي معنا هنا يا فيوليت؟»

وأومأت فيوليت وقالت :

« قال السيد وليام ان سعادتكم لا تكتمل بدوني ... وانا كذلك غير سعيدة بدونكم. فانتم بمثابة أسرتي، ولن يسمح السيد وليام بأن يقع سوء لأي منا .»

لم يمض شهران حتى تغيرت الجزيرة تماماً، وبرز المنزل للرؤية من جهة البحر، وكانت شارلوت كلما سنحت الفرصة تبحر في الفتحة التي تم توسيعها بواسطة الديناميت، لتحدق من بعد في واجهة القصر الجميلة، واعمدته التي طليت حديثا، والحواجز التي تسطع بطلائها الابيض في ضوء الشمس.

كانت النوافذ تتلألأ ليلاً بالاضواء التي تستمد الطاقة من المولد الجديد. وكان على كيث ان يدور في البيت ليغلق النوافذ بالاسلاك المشبكة قبيل الغروب لمنع الحشرات من الدخول.

برغم ان وليام كان كثير العودة الى البر فان احداً من الآخرين لم يزر المدينة حتى حان العيدالعشرون لميلاد فلافيا.

وانتهزت شارلوت الفرصة فاشترت بذلة بحر صفراء واشترت لفلافيا حامل أقلام شفاه دوار ومذهب، هدية عيد ميلادها، بينما أهداها وليام مجففاً للشعر وتشارك الاولاد في شراء علبة لطلاء الاظافر. وبعد العشاء فتح وليام صندوقاً كبيراً فيه آلة تسجيل وعدد من الاشرطة وقال:

« وهذه الآلة المسجلة والاشرطة لنا جميعاً.»

كانت شارلوت لفترة تحاول ان تخفي شعوراً انتابها بشيء من الكآبة والقلق يرجع الى شعورها بالغيرة لا من فلافيا فقط بل من الجميع وحتى من فيوليت ذاتها.

كانت دائماً تعتبر الغيرة انفعالاً خسيساً وأحست بالذعر عندما اكتشفت ان تلك بالضبط كانت الحالة التي تعاني منها ، لم تكن تغار من توثق الروابط بين وليام وأمها وأختها والاولاد وانما كان يضايقها ان تجد وهي التي عرفته قبلهم جميعاً ان علاقة وليام بها كانت آخذة في التضاؤل فقد بدت الآن وكأنها آخر من يهتم به من الاسرة.

هبطت السيدة مارتن الدرج وجلست الى جانب شارلوت وقالت:

« فلافيا تتعلم الرقص بسرعة، ولكنه ليس الرقص الذي كنا نعرفه، ومع ذلك فرقصة الفالس والرقصات السريعة لها ميزاتها.»

عندما توقفت الموسيقى وقف وليام على حافة الدرج يقول:« هل ترقصين يا هيلين؟»

« كنت ... منذ سنوات.»

« تعالي لتؤدي عرضا أمام البنات.»

« نسيت الخطوات.»

« غير معقول ... انا واثق انك لم تنسي.»

رضخت هيلين لطلبه، وأدهشت أطفالها وهي تتبع خطواته كأنها لم تترك الرقص لأكثر من أسابيع برغم انها لم ترقص منذ اكثر من عشرين عاماً.

ضحكت وهي تلهث قائلة:

« هلا تعطي شارلوت درساً؟»

تردد بعض الشيء ثم قال لها:

« أتحبين ان تجربي يا شارلوت؟»

وأجابت على الفور:

« لا ... شكراً!»

كانت شارلوت في اعماقها تتمنى ان تحس بملمس ذراعه حولها، والحت عليها أمها فهبطت الدرج ببطء وترددت لتشارك في الرقص ، وكرر وليام ما سبق ان قاله لفلافيا:« انسي كل شيء عن قدميك واسترخي واستمعي الى الايقاع.»

أمسك يدها وانتظرت حتى بدأت المعزوفة الثانية وبدأ يجذبها اليه ثم يدفعها الى الخلف.

وعندما انتهت الرقصة قالت هيلين:« أحسنت يا حبيبتي ... انكما ترقصان كأن الرقص غريزياً فيكما.»

قالت فلافيا:

« انه دوري الآن .... هلا تعلمني رقصات أمريكا اللاتينية فيما بعد يا وليام؟»

«استطيع ان اعطيك فكرة عامة، ولكننا نحتاج الى موسيقى مناسبة. أما الآن فأنا بحاجةالى شراب.»

وكانت شارلوت قد ذهبت الى الفراش قبل ان يعود، وبدا لها في الايام التالية انها في كل مرة تلمحه كان يبدو متشاغلاً مع الآخرين. كان لديه الوقت لهم جميعاً ما عدا شارلوت ... يتحدث اليها على المائدة وكذلك فيوجود الآخرين ولا يدخل غرفة ويجدها وحدها هناك إلا وجد العذر للانسحاب.

وفي احد ايام الآحاد حضر مصور ليلتقط صوراً تنشر في كتيب عن الفندق.

كان شاباً يدعى ريكاردو تورتيل من جزر الهند الغربية. وكان يعمل بقية الاسبوع في البنك الذي يحتفظ وليام فيه بأمواله. واكتشف وليام ان ريكاردو كان مصوراً هاوياً موهوباً يأمل ان يتحول الى محترف ذات يوم.

كان وليام قد سبق ان شرح لريكاردو ان هناك اصلاحات أخرى سوف تتم في المبنى قبل ان يستخدم كفندق، وانه يريد صوراً فوتوغرافية تنقل الى كبار الزوار للانطباع الذي سيكون عليه المكان عند الافتتاح من دون مبالغة.

أمضى ريكاردو اليوم كله في الجزيرة يلتقط صوراً أكثر مما يلزم للكتيب ليبيعها لمكتبات الافلام ووكالات الاعلان.

كان طعام الغداء في ذلك اليوم يتكون من سرطان البحر الذي قدم على طبق كبير بطريقة فاخرة، وحملته فيوليت وهي تلبس فستانها الاحمر اللامع. وعندما حان وقت الظهيرة، دخل ريكاردو وأغلق حصير النوافذ وظلل البيت بظلمة خضراء غريبة.

ذهبت شارلوت الى غرفتها ترتدي بذلة الاستحمام الصفراء، وعندما نزلت الى الطابق الارضي وجدت ريكاردو وحده في الردهة، وصمم ان يلتقط لها بعض الصور وهي تجلس فوق قاعدة النوافذ المطلة على الدرج ... كانت تعتبر انه يضيع الفيلم لأنها لا تستحق تلك الصور ومع ذلك أطاعت تعليماته، وشردت تفكر في وليام وتمنت ان تكون معها صورة له تنظر اليها في وحدتها.

اكتشفت انها تحب وليام وعرفت ان صداقتها وحدها

لم تعد كافية لتعيد اليها السعادة، فهي تريد الآن شيئاً اكثر من الصداقة ...

عاد ريكاردو الى الجزيرة في عطلة الاسبوع التالية ليريهم بروفات الصور التي أخذها وحازت الصور اعجاب وليام، قبل ان يبدأ بعرض عدد آخر من الصور التي أخذها لشارلوت والتي كانت قد نسيت كل شيء عنها.

قال روب يلخص مشاعر الآخرين:

« انظروا ... انها شارلوت! كنت أظن ان الكاميرا لا تكذب، ولكنها تفعل ذلك تماماً انها ليست كذلك في الواقع على الاطلاق.»

أحست شارلوت بالدهشة نفسها إذ كانت تبدو الصور اكبر سناً وأكثر رشاقة وجمالاً، ودفعتها الغريزة للنظر الى وليام، كان حانقاً وقال موجهاً الكلام الى ريكاردو:« لماذا التقطت هذه الصور؟»

والتفت ريكاردو الى السيدة مارتن قائلاً:

« اعتقد ان بوسعي بيعها ... لو اذنت طبعاً.»

« انها صور لطيفة ... لكن من ذا الذي يريد ان يشتريها؟»

أجاب:« صور الجميلات تطلب دائماً.»

قاطعه وليام:« بالتأكيد لا ... كان ينبغي ان تستأذن قبل ان تلتقطها يا ريكاردو! تعال الى المكتب لأسوي الموضوع معك!»

جمع كل النسخ ووضعها في ملف وترك الغرفة. علق روب قائلاً:« لقد خاب الامل في ان تصبحي فتاة الغلاف يا شارلوت!»

ظل الاولاد الآخرين يضحكون فيضجيج حتى

جعلتهم هيلين يغادرون المكان.
وسألتها فلافيا:
« لماذا لم تقولي ان ريكاردو التقط لك صوراً؟»
وأجابت شارلوت:
« نسيت كل شيء عنها.»
وظل الاولاد ليوم او يومين يعمدون الى إغاظة شارلوت التي ظلت تفكر في السبب الذي من أجله أبدى وليام ذلك الامتعاض الواضح ... وكانت تود لو انها طلبت ان تحتفظ بصورة منها، ولكنها خشيت ان يتهمها بالعجب والخبلاء.
في اليوم الموعود الذي كان السجل القرمزي فيه موضوعاً على مكتب الاستقبال ومعداً لتسجيل اسماء الضيوف الاربعة الاوائل، قالت هيلين وهم يتناولون الفطور:« ما أسرع ان يمضي الوقت عندما يكون الانسان مشغولاً بالعمل ... كأننا أمضينا اسبوعاً واحداً او اسبوعين فقط منذ جئنا هنا.»
حدث ذلك في اول يوم يصل فيه ضيوف الى الفندق.
وبعد ذلك بحوالي أسبوعين كان بوسعها ان تقول:
« لو كل ضيوفنا يستمتعون بوقتهم كما فعلت أسرتا هويتينكر وهاياردز فلن تكون أمامنا مشكلات...»
كانت شارلوت سعيدة كالآخرين لأن الاسرتين الامريكيتين استمتعتا باجازتهما ووعدتا بمدح فندق جزيرة مانغو لكل الاصدقاء. ومع ذلك فالنزلاء الذين وصلوا الى الفندق بعدهم مباشرة لم يكونوا أناساً رقيقين مثلهم بل ستة اشخاص متعبين، يسهرون حتى الساعات الاولى من الصباح، ثم

ينامون فلا يستيقظون قبل الظهيرة، النسوة يتركن آثار أقلام الشفاه وزينة العيون على ملاءات الفراش الجديدة. وكل يوم كان هناك على الاقل لفافة سكائر خالية او صندوق شوكولاتة او اوراق أخرى ملقاة على الشاطىء ليقوم انسان آخر برفعها...
قالت شارلوت لفيوليت وهي تبدل الازهار في آخر يوم لاقامة أولئك النزلاء:
« من حسن الحظ انهم سيرحلون غداً... وأتمنى ألا نرى مثلهم ثانية.»
هزت فيوليت كتفيها وعلقت:« في رأيي انهم أفضل من ألا يكون لدينا نزلاء.»
نظرت فيوليت الى الساحة السفلى فرأت وليام أمام المبنى، وقالت:« من المؤسف ان السيد وليام ليس أكبر مما هو بعشر سنوات كما انه ليس أصغر بالقدر نفسه.»
« لماذا تقولين ذلك؟»
« لو انه كان اكبر لكان من الممكن ان يتزوج السيدة مارتن، ولو انه أصغر كان زوجاً مناسباً للآنسة فلافيا.»
قالت ذلك من دون ان ترى الذعر الذي اصاب شارلوت. ومضت لحظة صمت قالت شارلوت بعدها في حرص:
« أعتقد ان الزواج لا يعتمد فقط على السن المناسبة... اذ ينبغي ان يكون هناك حب متبادل.»
ضحكت فيوليت بينها وبين نفسه، وقالت:
« لن يجد وليام صعوبة في ان يجعل اي سيدة تقع في حبه.»

فكرت شارلوت في كآبة: هل يكن هو لها حقاً شيئاً من الحب؟

وفي أحد الايام قررت شارلوت في فترة ما بعد الظهيرة ان تستكشف لأول مرة ساحل الجزيرة الرئيسي من الجهة الشمالية .. أرست قاربها وأخذت تسير بخطى صغيرة على حافة خليج صغير خال، عندما لحق بها شاب طويل القامة ذو شعر اشقر يقاربها في السن، كان قد وصل على قارب بلون أصفر فاتح من الاتجاه المقابل وأوقفه بالقرب منها وقال:« مرحبا! هل الشاطىء هنا ملكية خاصة؟ أرجو ألا أكون قد اعتديت على أرض الغير.»

هزت شارلوت رأسها وقالت:

« ليست هناك شواطىء خاصة على الجزيرة، فالشواطىء ملك للجميع.»

« أوه! انت انكليزية أيضاً، كنت أظنك أمريكية. انا إيان فريزر كيف حالك؟» ابتسم ومد يده اليها ليصافحها.

« وأنا شارلوت مارتن.»

« هل تقيمين معنا في فندق المياه الخضراء؟»

« كلا ... فأنا أقيم في فندق جزيرة مانغو وأعيش هنا.»

« ماذا؟ طوال السنة؟ انك محظوظة؟»

« وما موطنك انت؟»

« اسكتلندا ... هل تقيمين مع أهلك هنا منذ مدة طويلة... ام انكم مهاجرون جدد؟»

« أقمنا هنا منذ كان عمري أربع سنوات، واخوتي الاصغر ولدوا هنا.»

سألها ايان:

« كم عمرك الآن؟»

« سبعة عشر عاماً ... وما عمرك انت ؟»

« ثمانية عشر عاماً... أكملت تعليمي الثانوي في يوليو/ تموز الماضي وقررت ان اتجول لمدة عام في الخارج قبل ان التحق بالجامعة. ولكن أجريت عملية خطيرة لأبي في أغسطس/ آب وصمم الاطباء على ان يحضر الى هنا للراحة ستة اسابيع. أمي ماتت منذ ثلاث سنوات ولم يشأ ابي ان يحضر بمفرده، لذلك جئت معه. واعتقد انني محظوظ إذ اتيحت لي هذه الفرصة ، والمشكلة ان أبي يأوي الى الفراش مبكرا فاشعر بالفراغ في الامسيات ولا اجد شباباً في الفندق فكلهم لا يقلون عن الاربعين ويصل معظمهم الى الخمسين او الستين، ما متوسط أعمار النزلاء في الفندق الذي تسكنين فيه؟»

« معظمهم في منتصف العمر كذلك.»

عبس قائلا:

« ومع ذلك لا ينبغي ان نحزن فالمكان يستهلك طاقة الانسان اثناء النهار... جربت كل شيء كالتزحلق على الماء والسباحة والغطس ... وغيرها.»

كانت شارلوت قد أحست نحوه بالتقدير منذ رأته. والآن وبعد ان حادثته خمس دقائق أحست بالارتياح اليه كأخ من اخوتها ... لم يكن حسن المظهر لكن وجهه كان صبوحا وشعره أشعث بعض الشيء ولم يكن متكلفا ... وليس مثل ذلك الشاب الذي دعا فلافيا الى الحفلة.

أمضيا حوالي نصف ساعة يتحادثان، قال ايان:

« ليلة السبت من كل اسبوع يجري في فندق المياه الخضراء حفل راقص وفي كل ليلة تقام رقصات على الموسيقى المسجلة، لكن السبت يعتبر يوماً خاصاً تحضر فيه فرقة للعزف ... هل تحبين ان تحضري هذا الحفل؟»

قالت في تشكك:« لا اعرف !»

وعلت وجهه حمرة خجل باهتة وقال:

« كان علي ان ادرك ان فتاة مثلك لابد ان تكون مرتبطة لاسابيع مقبلة.»

كررت وراءه:« فتاة مثلي ؟»

تردد بعض الشيء ثم قال على عجل:

« انك أجمل فتاة رأيتها.»

كان يتكلم باخلاص بطريقة جعلت شارلوت تعجز عن الكلام لحظة وقالت بعد صمت:« أحب ان أحضر الحفل يا ايان ولكني سأستأذن أمي.»

وافق على الفور قائلاً:« أوه بالطبع... هل يبعد محل إقامتك كثيراً؟ هل يمكن ان آتي معك لأقدم نفسي؟»

« انه لا يأخذ وقتاً طويلاً في الزورق؟ ولكن ما مصير قاربك؟»

« يمكننا ان نربطه، فسأحتاج اليه في العودة.»

أرسيا الزورق على الجزيرة عند الشاطىء الصغير وكان اول شخص قابلاه هو وليام ... كان يقوم بحفر بوّرة لا تبعد كثيراً عن الممر اكتشفها قبل ذلك بأيام قليلة.

قال وليام وهو ينظر بعين الاستفسار الى رفيقها:

« أهلا ... لقد عدت مبكرة.»

وضحت له قائلة:« هذا إيان فريزر ... إنه

يقيم مع والده في فندق المياه الخضراء.»

قال ايان:« كيف حالك يا سيدي؟ جئت استأذن في السماح لشارلوت بأن تحضر الحفل الراقص يوم السبت في الفندق الذي أقيم فيه. وهناك زورق يمكنني ان استعيره لاصطحبهافي الذهاب ولأعود بها في الوقت الذي تحددونه.»

أخذ وليام يتفحصه ، وقال:

« لا ارى مانعاً... ولكن ينبغي ان تستأذن أمها.»

وأومأ إيماءة ودية ثم واصل عمله.

قال إيان وهما يواصلان السير:

« اذا كان والدك قد وافق ... فلا أعتقد ان امك تعترض.»

قاطعته قائلة:

« وليام ليس ابي؟ ألا ترى ان سنه لا يسمح بأن يكون كذلك؟»

« آسف ... ولكن من يكون اذاً؟»

شرحت قصة وفاة ابيها ... وكيف حضرت أسرة مارتن الى الجزيرة.

كانت هيلين تراجع محتوى حجرات التخزين وتكتب قائمة بالاصناف التي يحضرها وليام في رحلته المقبلة الى المدينة. رحبت بإيان وأبدت موافقتها على ذهاب شارلوت الى الحفل شرط ان يعيدها قبيل منتصف الليل.

وقالت وهم يتناولون العشاء في تلك الليلة:« يذكرني إيان بشخص لا أستطيع ان اتذكر من يكون؟»

علق وليام :

« هل لديك ما تلبسينه في هذه المناسبة يا شارلوت؟

انا ذاهب الى المدينة غداً وتستطيعين ان تأتي معي لتشتري ما يلزمك.»

قالت فلافيا:

« وأذهب معكما لاساعدها على الاختيار.»

هز وليام رأسه وقال:« لا ... لا يمكن ان تتركا العمل انتما الاثنتين في فترة الصباح، فعليك ان تقومي بعملك بالاضافة الى عمل شارلوت يا فلافيا.»

كانت فلافيا فيما مضى تثور على مثل هذا القرار ولكنها الآن تقبلت الامر ببساطة واكتفت بأن تقول:

« لو كنت مكانك يا شارلوت لذهبت الى المتجر الصغير في شارع المعارض. فصاحبته امرأة لطيفة وتقدم خالص النصيحة.»

تمتمت شارلوت:« سوف افعل.»

لم تكن فكرة شراء فستان وراء ما أحست به من اثارة ولكنها المتعة للتواجد وحدها مع وليام لساعات عدة.

للأسف لم يكن لها وحدها اثناء الرحله في الصباح التالي فقد دعا بعض القرويين للذهاب معهما وكان يتحدث اليهم لا اليها. وعندما وصلا الى العاصمة لم يصحبها في جولتها بل اتفقا على ان يتقابلا امام المحكمة عند منتصف النهار تماما، مضى الى عمله تاركاً إياها تراقبه في يأس حتى اختفى.

وصلت الى المكان الذي تواعدا عليه قبل الموعد بنصف ساعة، وانتظرته على مقعد ظليل، ولم تكن مبتهجة كثيرا برغم نجاح مهمتها في شراء ما تريده وارتفعت روحها المعنوية عندما رأته يعبر

الميدان وساعة المحكمة تشير الى الثانية عشرة إلا عشرين دقيقة فلربما اقترح ان يتناولا وجبة الغداء في المدينة او على الاقل عصيرا باردا ينعشهما قبل رحلة العودة.

اخذ قلبها ينبض بشدة عندما رأته يقترب من المقعد مبتسما وقد رأى رزمة الطرود معها. ولكن توقعاتها لم تدم طويلاوكان اول ما قاله:

«لقد جئت مبكرة ... لو تحركنا الآن فسنصل مع الغداء، اتركي لي حمل بعض الطرود عنك، ماذا بها.»

قالت وقد احست بشيء من الاحباط :

« فستان وبعض الصنادل ... وأشياء أخرى.»

« ماذا حدث؟ ألم تشتري كل ما كنت تريدينه؟»

« ليس ذلك السبب ... ولكنني متعبة وعطشانة.»

اشترى واحدة من الآيس كريم وهما في الطريق الى مكان انتظار السيارة، عندما قدمها اليها قالت بجفاء:« لا ... أشكرك!»

لم يكن قد سألها قبل ان يشتريها، اذا كانت تريدها أم لا ... لكنها لم تكن طفلة ... وكانت تحس بالغضب لمعاملتها بتلك الطريقة.

انطلقت بهما السيارة في طريق العودة في صمت أحست معه شارلوت بالضجر، وعندما بلغا القرية كان حلقها يحترق بالدموع الحبيسة ، وعندما وصلا الى الجزيرة حاولت ان تشكره على اصطحابها الى المدينة فأجاب بطريقة عارضة:« لا شكر على واجب.»

كان من الصعب على شارلوت ان تنام في تلك الليلة

وظلت تتقلب في فراشها حتى منتصف الليل، وفي الثانية صباحاً تسللت بهدوء من غرفتها وهبطت الدرج. واعترتها الدهشة اذ وجدت بعض الضوء يتسرب من اسفل باب المكتب، لم يكن من الصعب ان يحس وليام بوقع قدميها وهي تهبط الدرج في سكون الى الردهة. وفتح الباب بمحض الصدفة فوقعت عيناه عليها وهي في منتصف الطريق بين قاعدة السلم وباب غرفته.

أصيبت بما يشبه الشلل عندما وقع عليها الضوء فجأة فنظرت بعينين طارفتين تجاهه، وهو يقول:

« الى اين؟»

« لا استطيع ان انام... سأخرج للسباحة في البحر.»

اتجه نحوها يقول:

« لاينبغي ان تصابي بالارق في مثل هذا السن.»

« انا ... الجو الليلة حار للغاية ...»

لم يكن كما تخيلت يقرأ في سريره ولم يكن قد سكن الى الفراش بعد، كان لا يزال يلبس البنطلون الذي لبسه على العشاء. سألها:« هل اعتدت ان تتجولي في مثل هذه الساعة؟»

وهزت رأسها بالنفي ، وبدلاً من ان يطلب اليها العودة الى غرفتها قال:

« لا تستطيعين ان تسبحي وحدك، سأذهب معك، انتظري حتى اغير ملابسي وأحضر منشفتي.»

دخل غرفته وأوصد الباب بدون ان يغلقه تماماً ليترك بصيصاً من النور فوجدت نفسها في نوع من الظل المخيف ذكرها فجأة بتاريخ المبنى وبالفترة التي كان مهجوراً فيها. انطفأ مصباح المكتب ولم

تستطع للحظات ان تبصر شيئاً ... وتصادف ان الضوء الذي كان يدخل عن طريق نافذة على الدرج احتجب ايضاً بسحابة غطت وجه القمر.

ولما لم تسمع صوتاً ينبيء عن وجود اية حركة همست:« وليام!»

لم تسمع إجابة.

وأحست بشيء من الذعر، وكررت:« وليام!»

وجاءها صوته وقد اقترب منها تماماً:« هنا!»

« أوه!»

مدت ذراعيها بطريقة غير مقصودة تجاهه وكادت ان تصطدم به فقد كان قريباً منها اكثر مماتظن لولا انه أمسك بذراعيها ليوقفها، وسألها:

« ماذا حدث؟»

« لا شيء ... فقط أحسست لدقيقة بشيء من الذعر.»

كانت يداها تستندان الى صدره الدافيء الصلب، وأحست بأنه من السخافة ان تتوهم انها محاطة بأشياء غريبة. وعلق قائلاً:

« ارجو ألا يعاودك الشعور بالخوف من الاشباح.»

عندئذ عاد ضوء القمر الى الردهة من جديد، وأطلقها وليام بعد ان كان منظرهما يبدو وكأنهما على وشك العناق.

أجابت في صوت خفيض وقد تمنت ان يسود الظلام لفترة أطول:« لا ...»

فتح الباب الرئيسي بهدوء وسار أمامها عبر الحديقة الى الشاطيء. كانت السحابة التي حجبت القمر تتجه بعيداً والسماء تبدو صافية.

وعندما اقترب وليام من الشاطيء، كانت تتوقع ان

يطلب اليها ان تخرج من الماء ولكنه لم يفعل ورأته وهي تخرج من غطسة في قاع البحيرة يتمدد على الرمال يدخن سيكاراً ... جلست الى جواره لفت نفسها بمنشفتها، لكنه لم يبد حراكاً، ثم قال:« هل تعرفين ان هذه المياه كانت فيوقت ما مليئة بالسلاحف البحرية.»

أحست بالبهجة لأن وليام يتحدث اليها بطريقة ودية كما كان يفعل من قبل.

وسألته:« هل كنت تحب ان تعيش في هذا المكان في ذلك الزمان؟ منذ خمسمائة عام.»

« ليس بصفة خاصة ... وانت؟»

« لم يكن يضيرني ان اكون فتاة من شعب الاراواك ... فقد كان شعبا سعيدا محبا للسلام، ولو قدر لي ان اعيش عند ذاك لما كنت اعتبر فتاة لا بد انني سأكون متزوجة ولي طفلان او ثلاثة اطفال.»

جففت الماء عن وجنتيها وواصلت تقول:« انا اتعجب لماذا كان الناس في تلك الايام يعتبرون انهم وصلوا الي سن النضج في سن أصغر بكثير مما يحدث الآن؟»

« لقد أجبت على هذا السؤال من قبل ... فحينئذ كانت النساء يوجدن ليلدن الاطفال وليقمن بالاعمال اليدوية الحقيرة.»

« اما زال ذلك واجب معظم النساء؟»

رأته يبتسم قبل ان يجيب:

« نعم ... غير انه لهن الآن اختيار اكبر ... فهن لا يجبرن على ان يكن عبيدا رغما عنهن، ايضا فاننا نعيش لفترات أطول وليس من الضروري ان تبدأ

الفتيات في إنجاب الاطفال فور زواجهن. ولو كان هذا هو القرن الخامس عشر وكنت انا من شعب الاراواك لكنت الآن رجلاً هرما ليس أمامي فرصة كبيرة للحياة لفترة أطول، بل لكنت سعيد الحظ لأنني عشت لفترة أطول مما يحدث عادة.»

ونهض قائلاً:

« هل تحسين انك بحاجة الى النوم الآن؟»

« ليس كثيرا، انها ليلة جميلة.»

خلع رداءه وقال:

« اخلعي ملابسك المبتلة والبسي هذا بينما أصنع بعض الكاكاو.»

كان الرداء المخطط يصل الى رسغ قدمي شارلوت لفته حولها وثنت كميه وربطت حزامه على خصرها.

بعد ان عصرت ثيابها وضعتها في منشفتها وتبعت وليام الى داخل المنزل.

وجدته في المطبخ، كان قد خلع ثيابه المبتلة ولبس بنطلونا وقميصا. أخذ منشفة جافة من سلة الملابس وقال:

« لا يمكنك ان تذهبي الى الفراش وشعرك مبلل.»

شرع في دعك رأسها بقوة، ثم قال وهو يلقي بالمنشفة جانبا:« هكذا أحسن.»

أكمل وليام تحضير الكاكاو وأحضر كوبين كبيرين الى المائدة وقال:

« هل تريدين ان تأكلي شيئا؟»

هزت رأسها بالنفي وقالت:

« لماذا كنت يقظا في هذه الساعة المتأخرة

من الليل؟ ألم تستطع أن تنام أنت أيضاً؟»
تناول كوبه وقال:
« لا، ولعل هذه احدى ميزات الحياة في هذا العصر، كان الارواك يشربون عصير المنيهوت ليستغرقوا في النوم. أتعرفين كيف اكتشفوا ان نبات المنيهوت يفقد خواصه السامة إذا ما تعرض للغليان؟»
كان لديها الاحساس بأنه أدخل قصة المنيهوت في الحديث لأنه لم يكن يريد ان يناقش معها السبب وراء قلقه وقالت:« لا أعرف.»
أضاف:« ولكنه ليس فاتحاً للشهية.»
سألته:« ألا تشعر بالندم الآن يا وليام؟»
« أندم على ماذا؟»
« على تحويل المنزل الى فندق ... وعلى انك ضممتنا جميعاً تحت جناحك.»
« ما الذي جعل هذه الفكرة تخطر في بالك؟»
« فكرت إذا كنت تحس بأنك وقعت في مصيدة ... فلقد اتخذت القرارات بطريقة متسرعة، ولم يكن لديك الوقت لتتمعن في الامر ... والحياة التي تعيشها الآن تختلف كثيراً عن الحياة التي كنت تعيشيها قبل ان تأتي الى هنا.»
تردد قبل ان يجيب:« ليس لك ان تقلقي عليّ يا شارلوت ... انا لا اندم على الحاضر إنما اندم على الماضي فقط.»
« ماذا تعني؟»
هز كتفيه قائلاً:«ضيعت كثيرا من الوقت والمال على أشياء لم أكن أريدها حقيقة. والنقود لا تعني الكثير ولكن الامر يختلف فيما يخص الوقت. الانسان

قادر على تعويض الخسائر المادية أما الوقت فلا يمكن تعويضه.»
« انك تتكلم كما لو كنت كبيراً في السن .»
« لست كبيراً في السن ولكني كبير على بعض الاعمال التي كان من الممكن أن أعملها منذ عشر سنوات.»
« مثل ماذا؟»
وفي هذه المرة عمد الى تغيير الموضوع بطريقة مباشرة فقال:
« الكاكاو سيبرد ... وسوف تشرق الشمس قبل ان تنامي بمافيه الكفاية، الافضل ان تأخذيه معك الى الطابق العلوي.»
« لا استطيع، لأنني لو أضئت النور لأدى ذلك الى إيقاظ الآخرين، وقد ينسكب في الظلام، وفي حال...»
ارتشفت منه رشفة بحذر، وقالت:
« انه لا يزال ساخنا ... وأحس بالجوع.»
ذهبت لتبحث في الثلاجة. وعندما عادت ومعها بعض بقايا الارز وبعض قطع السجق وقطعة كبيرة من الجبن وثلاث قطع من الخبز المغطى بالزبد قال وليام:
« ... لن تنامي ابداً اذا أكلت هذا الخليط الذى يؤدي الى عسر الهضم.»
قطعت شريحة من الجبن وفردتها على قطعة من الخبز المغطى بالزبدة وقدمتها اليه قائلة:
« ولم لا؟ خذ شيئاً منها.»
هز رأسه قائلاً:

« أكلت بما فيه الكفاية في العشاء، لكنك لم تكوني جائعة عندئذ.»

نظرت اليه نظرة استغراب ، كانت تظن انه لم يكن يعيرها اي اهتمام أثناء العشاء، فكيف لاحظ نقص شهيتها للطعام؟

« يبدو لي بالفعل انكِ لم تكوني تأكلين لفترة أرجو ألا تكوني تطبقين نظاماً غذائياً قاسياً.»

« لو كان ذلك صحيحاً لما أكلت هذا السجق.»

« هكذا شأن الفتيات اللواتي يتبعن نظاماً قاسياً للأكل، ثم يفقدن قوة ارادتهن بعد قليل ويكثرن من الطعام.»

جاء دورها لتغير مجرى الحديث، فقالت:

« كنت تقول على الشاطىء ان الناس يحتاجون الى وقت لينضجوا عاطفياً ما مقدار ذلك الوقت؟»

« المسألة تتوقف ...»

« على أي شيء؟»

« على أشياء كثيرة ... الوراثة ... البيئة ... الحالة المزاجية...»

« اذاً، فبعض الناس ينضج في سن مبكرة نسبياً؟»

« نعم ... ولكن ليس في مثل سنك.»

« لا استطيع ان افهم لماذا لا تسلم بحدوث ذلك في بعض الاحيان؟»

« لأن أهم عامل هو الخبرة، وخبرتك في الحياة محدودة للغاية.»

« ولكن خبرتك ليست محدودة، ومع ذلك ضيعت عشر سنوات، فما الذي يدل على ذلك؟»

« لا شيء على الاطلاق، لأن كلاً منا حالة خاصة، لقد أعطيت نصيباً كبيراً من الحرية في سن مبكرة، وانت ظللت حبيسة لفترة طويلة، والآن كفي عن الثرثرة واشربي كوبك، ربما لا تحسين بالتعب ولكنني متعب جداً.»

شربت شارلوت الكاكاو على مضض، وهمست وهي في الردهة:

«أشكرك على الوقت الذي أمضيته معك.»

« حسناً... ولكن اقلعي عن عادة التجوال أثناء الليل ... ليلة سعيدة.»

« ليلة سعيدة.»

عادت الى غرفتها وهي في حالة نفسية أفضل مما كانت عليه عندما تسللت الى الطابق الارضي.

كان اوليفر اثناء غيابها قد استقر على وسادتها يستمتع بالفراش الوثير. نقلته في لطف الى الحصيرة على الارض وما كادت تستقر حتى وثب من جديد الى الفراش وكوّر جسمه بارتياح مستندا الى ظهرها، وظلت يقظة لفترة قصيرة.

خطر لها وهي تربت على فراء أوليفر أنها ربما بالغت عندما اعتقدت ان وليام كان يعاملها ببرود فلربما كان مشغولاً بمشكلات عمله الجديد.

كان اول شخص رأى شارلوت مساء السبت بعد ان استعدت للخروج شقيقتها فلافيا، تقابلتا على الدرج سألتها شارلوت:« هل يعجبك فستاني؟»

أخذت فلافيا تتفحص الفستان الجديد، كان فستاناً طويلاً ابيض. ،كانت فتحة الرقبة والاكمام محلاة بشرائط خضراء، وكان الصندل أخضر اللون كما

ربطت شعرها بشريط أخضر وضفرته في هيئة ذيل الفرس، واستعملت زينة خفيفة بقلم الشفاه ، ولم تكن قد اشترت شيئاً آخر من مواد التجميل سوى زجاجة عطر فرنسي صغيرة غالية الثمن.

قالت فلافيا:« انك تبدين جميلة للغاية.»

لكن شارلوت أدركت ان تعبير شقيقتها مصطنع وانها لم تقدر الفستان التقدير الكافي، ومع ذلك كانت هي مقتنعة من دراستها لمجلات الازياء ان البساطة هي السر وراء الاناقة وربما كان ما يؤخذ على فستانها هو انه جعلها تبدو أصغر سنا بل اقرب شبها بتلميذات المدارس.

كانت هيلين مارتن في المطبخ تعد المايونيز الطازج ورفعت بصرها فرأت ابنتها الصغرى، عبرت على الفور عن انفعالها قائلة:

« اوه! انه جميل يا شارلوت! استديري ... اريد ان ارى ظهر الفستان. ان مظهرك جميل يا حبيبتي ... انا معجبة بتصفيف شعرك وبالشريط والزينة بسيطة للغاية ...»

ضحكت ثم واصلت قائلة:

« كنت أخشى ألا تقفي فتشتري فستاناً غير مناسب لسنك، ولكن هذا الفستان مناسب تماماً، إنه الشيء الذي كنت أختاره لك.»

كانت شارلوت بينها وبين نفسها ترى في تعليق أمها شيئا من المغالاة فلم تستسغه كما لم تستغ إطراء فلافيا الفاتر، وواصلت أمها قائلة:

« اذهبي ليرى وليام مظهرك، انه في المكتب على ما اعتقد.»

غادرت شارلوت المطبخ واجتازت الردهة، كان باب المكتب مغلقاً وتوقفت لحظة قبل ان تنقر على الباب لتعرف الرأي الوحيد الذي كانت تحرص عليه.

وسمعت صوته يقول:« ادخلي!»

كان وليام يجلس الى مكتبه ينسخ خطاباً على الآلة الكاتبة وقال بدون ان يرفع بصره ليرى من بالباب :« سأفرغ بعد لحظة.»

وواصل الضرب على الآلة الكاتبة.

أغلقت شارلوت الباب ، وأسندت ظهرها اليه وهي تحاول ان تبدو اكثر هدوءاً، كانت الفترة التي انشغل فيها عنها تقل عن دقيقة اتم فيها الرسالة وراجع ما كتبه ورفع الصفحة التي نسخها عن الآلة ولكنها بدت كأنها خمس دقائق، وأخيراً رفع رأسه لينظر اليها.

أخذ يتفحصها لحظات كما فعلت فلافيا بدون ان يتكلم ثم زحزح كرسيه الى الخلف ونهض ... وفجأة أحست باشراقة في عينيه جعلت حلقها يتوتر من الاثارة.

قالت بصوت ابح:« حسناً ... ما رأيك فيّ؟»

كانت تعرف مسبقاً رأيه، فقد سبق ان نظر اليها بالطريقة نفسها وبعد ذلك بثوان كانت بين ذراعيه وراح يعانقها. كانت المنضدة بينه وبينها في هذه المرة ولم يستطع ان يمد ذراعيه ليجذبها اليه كما أنهما لم يكونا وحيدين في المنزل، وقبل ان يدور حول المنضدة كان هناك شخص ينقر على الباب ولكنه لم ينتظر حتى يسمح له بالدخول على الفور، كان ذلك الشخص بيتر الذي قال:

« يريد السيد لانجلي مظروفين من مظاريف البريد الجوي، ولا يوجد منها شيء في الخارج،، هل لديك شيء منها يا وليام؟»

« أعتقد ذلك.»

نظر بيتر الى شارلوت وقال:

« ماما تقول انك في أبهى زينة لتقابلي صديقك ومظهرك ليس سيئا في أي حال.»

اقترب منها وأخذ يتنشق، وقال:

« وضعت عطرا نفاذا شممته فور ان فتحت الباب.»

لم تعلق شارلوت بشيء ... ولكنها كانت تود ان تخنقه ... وعندما اعطاه وليام حزمة المظاريف ، انصرف. فسألت وليام قائلة:

« هل تعتقد ان العطر الذي وضعته أكثر من اللازم؟»

أجاب:« لا يزال بيتر صغيرا لا يدرك مغزى ذلك ... ولكن إيان سوف يقدره كل التقدير.»

سقط قلبها اذ اختفت الومضة التي كانت تضيء عينيه قبل ان يقطع بيتر عليهما تلك اللحظات ... وبرغم انهما كانا الآن في جهة واحدة من المنضدة لا تكاد تفصل بينهما ياردة واحدة عاد الحاجز غير المحسوس يفصل بينهما من جديد. وسألها:« هل تحسين بشيء من التوتر؟»

« ولماذا أحس بالتوتر؟»

« إنه حدث كبير ... اول موعد في حياة فتاة.»

أضاف بطريقة عارضة:« وربما اول قبلة.»

واضطرب نبضها وهي تقول:

« سبق ان قبلني شخص آخر. هل نسيت؟ انت قبلتني.»

انقبضت عضلات فكه كما أخذ يكز على اسنانه فجأة، وقال:« نعم فعلت ذلك ... ولكنك لا يمكن ان تقيمي وزنا لتلك القبلة.»

وقبل ان ترد وتستفهم واصل يقول:

« انصرفي الآن! لا تعيري اي اهتمام لما قاله بيتر. إن مظهرك جميل جدا، وهذا العطر ممتاز ، استمتعي بوقتك يا شارلوت .»

ومضى الى الباب يفتحه لها وكأنه يوضح أنه لا يوجد بينهما مزيد يمكن ان يقوله أحدهما للآخر.

www.elromancia.com

الفصل السادس

بلغا فندق المياه الخضراء وقدم إيان شارلوت الى السيد فريزر وكان وجه الشبه كبيرا بين الأب والابن غير ان شعر السيد فريزر الكثيف كان يقترب من البياض وكان في وجهه خطوط غائرة.

وعبر لها عن سعادته لأن ابنه عثر على صديقة في مثل عمره وعن امنيته بأن يراها ثانية ثم استأذن ومضى الى غرفته، قال ايان بعد ان ذهب والده:

« يا لأبي المسكين ... لقد كبر في السن بسرعة. كان زائد النشاط. لو كانت امي على قيد الحياة لكانت الامور أفضل بكثير انه لم يتغلب على الصدمة بعد وانك لا شك تقدرين ذلك. اعتقد ان أمك تحس بشيء من الضياع من دون والدك.»

أومأت شارلوت وقالت:

« هل لك أخوة او اخوات يا إيان؟»

« نعم ... لي أخ وأخت، يكبراني بسنوات ليست قليلة... أختي ماغي ٢٤ سنة وهي متزوجة من كندي ويعيشان في فانكوفر، أما أخي أندرو فعمره ٢٢ سنة وهو في نيوزيلندا الآن. يبدو انه سيقيم هناك، وانا لا اعرف ما سأعمله بعد، وربما اقتفيت أثر والدي اذ ليس لي حتى الآن اي اهتمام خاص.»

« وما عمل والدك؟»

«انه صاحب مصنع بسكويت ولا بد انك أكلت من انتاجه، وشركته تسمى باسم الشخصين اللذين أسساها ماكنتير/فريزر، وكان أحدهما عم والدي .»

بعد ذلك بساعات قليلة كان إيان قد ودعها بدون ان يقبلها بعد ان تمنى لها ليلة سعيدة، وأخذت شارلوت تتمشى على الشاطىء حتى اختفى اليخت بعيداً عن الانظار، كانت قد استمتعت بالامسية الى حد ما، ولكن ليس الى الحد الذي يجعلها تنسى ولو لخمس دقائق دقائق ما حدث في المكتب قبل ان تخرج، كان إيان غاية في اللطف، ولم يكن بينهما الانسجام الكامل حقيقة فيما عدا تقاربهما في السن.

كان إيان يتصف شكلاً بما يدل على نضج في شخصيته ولكن تجاربه في الحياة وقد امضى أكثر من ثلثي عمره في مدرسة داخلية كانت محدودة مثلها، وكانت خبرته في المسائل الاجتماعية تفوق رصيده من المعلومات العامة، اذ لم يكن له اهتمام بالمطالعة، وأحست بذلك في الساعات الاولى من المساء فبعد ان تحدث كل منهما عن نفسه لم يجد مادة للحديث يشغل بها الوقت.

عندما دخلت المنزل وجدت وليام يقف في قاعة الانتظار يتحدث الى اثنين من الضيوف. حين وقع نظره على شارلوت توقف عن الكلام لحظة ونظر اليها مباشرة، لكنه لم يبتسم واستأنف حديثه على الفور مع ضيفه.

ولم يسألها اذا استمتعت بالامسية إلا في اليوم التالي.

كانت شارلوت فيغرفة البياضات تكوي المفارش والفوط وفوجئت بظهوره عندالمدخل يسألها عن امسيتها اذا كانت جيدة.

اجابته على استفساره:
« نعم ... أشكرك.»
« ومتى تتقابلان ثانية؟»
« لا اعرف.»
« تعرفين بالطبع انه بامكانك ان توجهي اليه الدعوة لتناول الطعام هنا.»
« نعم ولكنني لست متأكدة اذا كنت اريد ذلك ام لا .»
« ولم لا؟»
« لست مضطرة الى مقابلته مرة أخرى ... أليس كذلك؟»
عبس وليام وقال:« ماذا تعنين؟»
ولما لم تجبه قال:« لا بد ان تتحدثي يا شارلوت ... ما الذي أغضبك ليلة أمس؟»
استمرت في كيّ البياضات، وهي تقول:
« لا شيء، لقد تناولنا العشاء ... وتكلمنا ثم احضرني الى هنا.»
« هل قررت عندئذ ألا تقابليه ثانية؟»
كان قد ألقى السؤال في هدوء وبلا اكتراث. لكن شارلوت لم تنخدع وعرفت انه لم يكن راضيا وبدأت تدرك السبب.
لم يكن في نيتها ان تخدعه، لكنها لم تستطع ان تقاوم رغبتها الآن في ان تتعرف على ما يمكن ان يحدث لو انها تركته يسيء الفهم لفترة أطول قليلا.
فأجابت:« نعم.»
كان يستند الى دعامة الباب، وذراعاه مطويتان. لكنه الآن اعتدل في وقفته وقال:« اعتقد انه من الافضل ان تحكي لي ما حدث بالضبط.»

« ليس هناك ما يقال.»
خطا خطوة واحدة جعلته يقترب تجاهها، وأطفأ المكواة الكهربائية وأدار وجهها نحوه، وقال:
« انك تقولين كلاما مبهما ... أريد ان اعرف ما إذا كان الشاب فريزر قد تصرف بشكل سيء.»
أجابت في برود:« لا افهم لماذا تسأل؟»
« لأنني مسؤول عنك في الوقت الحاضر.»
« وماذا عن امي؟»
« لديها الكثير من المشاغل ... والافضل ان يعهد بمثل هذه المسائل الى رجل.»
« في هذه الحال لماذا لم تتدخل قبل ذلك ... كانت أمامك الفرصة، فلقد قابلت إيان قبل ان تقابله أمي، وبدا انك تستلطفه.»
« ولكن انت قلت انه ...»
قاطعته قائلة:
« انا لم أقل شيئاً، لكنك انت الذي توصلت الى استنتاج خاطيء. اذا كان يهمك الامر حقا، فقد تصرف إيان بطريقة مهذبة تماما في الليلة الماضية. بل بلغ به الامر انه لم يقبلني وهو يودعني.»
أطبقت أصابع وليام على ذراعها ، وقال:
« اذن لماذا تترددين في مقابلته ثانية؟»
هزت كتفيها وقالت:« انه ليس على شاكلتي.»
« لا ادري من اين تعلمت هذه العبارة، ولكن لا تستخدميها ثانية لأنها لا تناسبك، ما الشيء الذي لا يعجبك في إيان؟»
« لا شيء.»
سكتت لحظة ثم اضافت في حدة:

« ولا شيء كذلك لا يعجبني في روب.»
« هل تعنين أن إيان صغير جداً بالنسبة اليك؟ كم عمره ؟ ثماني عشرة؟ تسع عشرة سنة؟»
« عمره ثماني عشرة سنة، ولكنه ليس ناضجاً بما يتناسب وهذا العمر.»
بدا على وليام وكأنه في موقف فكاهي وهو يسأل في سخرية:
« هل خطر لك انه ربما حاول ان يهبط الى مستواك؟»
احمر وجهها وضغطت على شفتيها، وقالت:« هذه قسوة ... بل ظلم.»
« هكذا الحياة. أليس من القسوة ان ترفضي صداقة إيان وهو يستلطفك؟»
تركها قبل ان تجيب. وخرج قرار الرد على كرم إيان بكرم مماثل من شارلوت، فلم تكد تمضي ساعة بعد حديثها مع وليام حتى نظرت من نافذة غرفة نومها ورأت إيان يقترب من المبنى وقد احضر أباه معه. وبادرها السيد فريزر عندما قابلتهما في المدخل قائلاً:
« طاب وقتك يا عزيزتي، أرجو ألا تعتبري حضوري الآن فضولاً، ولكن وصف ابني لجزيرتكم جعلني تواقاً لأراها بنفسي. يا له من مكان جميل. كم كنت اتمنى ان نعرف بهذا المكان قبل ان نحجز في الفندق الحالي!»
قال إيان وهو يبتسم لها:
« انه الشعور نفسه بالنسبة الي.»
رحبت بهما شارلوت، وبعد ان تحدثت معهما دقائق

قليلة ذهبت لتحضر عصيراً. وعندما عادت سألها إيان:« يبدو المكان على شيء كبير من الهدوء. هل انت وحدك هنا؟»
« كلا فالآخرون موجودون ويتجولون في مكان ما. وذهب النزلاء للصيد في قارب استأجروه طوال اليوم. وأعتقد ان وليام ذهب الى القرية الواقعة عند الطرف الآخر للقناة. ها هي أمي وأختي قادمتان.» قالت ذلك عندما رأت السيدة مارتن وفلافيا تأتيان من جهة المبنى.
نهض السيد فريزر من على كرسيه وخلع قبعته حين أقبلت السيدة مارتن، فتحولت ابتسامته الى حيرة ثم الى دهشة وقبل ان تقوم شارلوت بتقديمه الى أمها، وجدته يصيح:
« هيلين! هيلين ليستر!»
توقفت السيدة مارتن فجأة، ولهثت قائلة:
« يا للعجب! غوردون!»
أمسك بيدها وقد أشرق وجهه قائلاً:
« بعد كل هذه السنين، انها مفاجأة سارة، فكرت فيك كثيراً ، ولكنني لم أكن أتوقع أننا سنتقابل ثانية!»
تمتمت قائلة:
« لا أكاد أصدق ... ولا عجب ان بدا وجه إيان مألوفاً لي، يا لغباوتي! كان علي ان ادرك من يكون عندما سمعت اسم عائلته، ولكنني لم افكر فيك من قبل باسمك الكامل غوردون فريزر. إنما كنت دائما أذكرك على انك غوردون وأعرف انك من سلالة ماكنتير.»
سألت فلافيا:« متى عرف كل منكما الآخر؟»

شرحت أمها وهي تضحك:

« أوه! منذ زمن بعيد جداً، منذ خمس وعشرين سنة على الاقل، وربما أكثر. انني مندهشة انك عرفتني يا غوردون.»

« عرفتك على الفور فأنت لم تتغيري يا فتاتي العزيزة ولكنني أنا تغيرت كثيراً.»

« تغير شعرك، ولكن لم يتغير فيك شيء آخر، فابتسامتك هي هي . وكنت سأعرفك مهما حدث ، ولا زال بك اثر حادثة الانزلاق كما ارى، اتذكر ذلك اليوم.»

وأشار الى جرح صغير في جبهته.

« كانت معجزة ان عنقي لم تنكسر، ظننت انني متّ! أليس كذلك؟»

« نعم لدقائق قليلة، فلقد انزعجت، وكانت الدماء قد غطت الثلج و ...»

توقفت هيلين ثم قالت:

« هل تعرف انني لم اذكر شيئاً عن تلك الايام التي قضيناها في العطلة لسنوات ... ولكن الآن أتذكر كل شيء بوضوح كأنه بالامس القريب.»

نظرت الى ابنتيها، وقالت:

« لا شك انني حدثتكما عن العطلة التي قضيتها في اسكتلندا مع خالي، بينما كان والدي في الخارج، حينئذ كانت أسرة ماكنتير تسكن المنزل الملاصق لمنزلهم. وكان غوردون يعيش معهم لأنه كان وحيدا أيضا.»

التفتت اليه وقالت:

« ماذا حدث لهم جميعاً ... كنت اتراسل مع مارغريت

ماكنتير بعد وفاة الخالة فلورا لمدة، ، ولكن في النهاية قطع الاتصال بيننا.»

أحست البنتان والشاب أن أمهما وضيفها غوردون سوف يستغرقان في الذكريات لبعض الوقت، فانسحبوا من المكان ليتركوا لهما الفرصة.

قال إيان لشارلوت:

« هذا حظ عظيم، لا شك ان حديث ابي مع امك سوف يساعده على التحسن كثيراً، فالناس في عمره يحبون ان يندمجوا في الحديث حول ما كانوا يعملونه وهم في سن الشباب، كنت قد سمعت عن حادث اصطدام الزلاقة ولكنني نسيته تماماً. وأعتقد ان الشيء نفسه حدث معك.»

« كلا فأنا لا اذكر ان امي حدثتنا به من قبل ، سمعنا بعض القصص عن اطفال ماكنتير وحركات الشقاوة التي كانوا يقومون بها، ولكن أمي تميل الى الاستماع أكثر مما تميل الى الكلام.»

ومع ذلك فان السيدة مارتن في الايام القليلة التالية أصبحت كثيرة الكلام على غير العادة مما اثار الدهشة، بل أنهم لم يألفوا ان يروها تضحك كما كانت تفعل مع السيد فريزر.

علقت فلافيا وهي تتحدث عن التغيير الذي طرأ على شخصية أمها قائلة:

« مع ان النكات التي يقولها تافهة ...»

لأول وهلة أحست شارلوت بشيء من عدم الاستلطاف للسيد دريبر. ولكن نظراً لانه كان في الخمسين من عمره على الاقل وكانت زوجته معه، فانها لم تكن تتوقع ان تتحول كراهيتها الغريزية له الى خوف

محقق من ان يريد ان تتواجد وحدها معه في مكان واحد.

وفي صباح احد الايام بعد مرور فترة على وصول اسرة دريبر الى الفندق وكانت قد وضعت للتو آنية أزهار على المنضدة المقابلة لباب الغرفة فاجأها بطريقة مريبة بأن ضغط على خصرها، وقال:

« صباح الخير، يا عزيزتي، كيف حالك اليوم؟»

صرخت وهي تبتعد عنه:« أوه! يا سيد دريبر. كنت أحسبك ذهبت الى الشاطىء.»

تحسس جيب قميصه وقال:« نسيت علبة السجائر.»

كانت اسنانه وأصابعه اصفرت من آثار التبغ.

وكان يمكن سماع صوته وهو يعاني من أزمة السعال في الصباح.

ولم تكن السيدة دريبر أقل إثارة للنفور من زوجها بصوتها العالي الأجش وشعرها المصبوغ بشكل فاضح ورموشها الصناعية التي كانت تضفي عليها مظهر العجائز لامظهر الشباب كما كانت تريد.

لم تكن هذه اول مرة يعمد فيها السيد دريبر الى مفاجأة شارلوت. لكنها في المرتين او المرات الثلاث السابقة حرصت ألا تتواجد معه بمفردها بإيجاد مختلف الاعذار.

وعندما قالت في هذا الصباح:« معذرة!»

وحاولت ان تمضي بعيداً عنه أصر على الامساك بخصرها وهو يقول:« سمعت ان هناك شاطئاً آخر للجزيرة، ما رأيك في ان تصحبيني اليه؟»

« ولكنه شاطىء صغير للغاية. فضلاً عن انه بلا كراسي او مظلات.»

« ولكنني اريد ان اراه برغم ذلك. أليس بوسعك ان تعطيني نصف ساعة من وقتك؟»

« آسفة يا سيد دريبر، فأمامي مسؤولية تنسيق الازهار في اماكن متعددة.»

« تعالي وبدلي الازهارفي حجرتي. سأعد لك عصيراً، يبدو عليك التعب.»

اعتذرت وهي تحاول ان تتحدث بأدب قائلة:

«لا.... أشكرك!»

« سوف تجعلينني أظن انك لاتستلطفينني.»

« ليس الامر كذلك، ولكنني مشغولة جداًفي الوقت الحاضر.»

وجدت ذراعه تحكم حولها فقالت:

« ارجو يا سيد دريبر!»

وبدا للحظة انه ليس امامها مفر من ان تخلص نفسها بالقوة من عناقه الكريه، وعندما أوشكت ان تطعن خصره المتكرش بمرفقها سمعت شخصا يصعد الى أعلى ... ربما كان فيوليت.

لكن الحاسة السمعية للسيددريبر كانت اقل حدة وربما ظن انها عندما تنهدت واسترخت فجأة كانت بذلك لا تعترض على ان يعانقها، فحاول ان يقبلها ... ولكنه لم ينجح لأن شارلوت حولت وجهها عنه فجأة. ولأن شخصا أمسك بكتفه وألقى به الى الخلف بقوة جعلته يترنح في الجانب الآخر من الممر ... ووجه وليام الكلام اليه قائلاً:

« ماذا تظن انك فاعل ... ايها الاحمق؟»

حاول دريبر ان يجيب فقال:

« أرجو ان تفهم ...»

وخشي ان يلقي عنفا أكبر، ولم يجد لديه طاقة يتحدث بها فجرى الى غرفته وأغلق الباب بعنف وراءه.

والتفت وليام الى شارلوت يسألها:

« هل انت بخير؟»

لم تكن شارلوت تظن ان وليام يمكن ان يصل به الحال الى تلك الدرجة من العنف. ولكنها أدركت انه يمكن ان يصل به الامر الى ذلك اذا ما استثير، وأجابته بايماءة من رأسها.

قال في اقتضاب:« ينبغي ان نتحدث سوياً، ولكن ليس هنا ... بل وحدنا .»

اغلق باب مكتبه في الطابق الارضي وأسند ظهره اليه وقال:« أخبريني ما حدث بالضبط!»

وأخبرته بكل شيء، وختمت حديثها بقولها:

« آسفة يا ... وليام.»

كانت تعني انها آسفة اذ سببت له ان يتورط في ذلك العراك مع السيد دريبر وهو ينقذها منه.

علق في برود:« نعم! ينبغي ان تتأسفي.»

كانت شارلوت تريد منه أن يطيب خاطرها ولكنها صدمت من اجابته فقد بدا لها انه يلقي عليها اللوم واعترضت قائلة:« ولكنها لم تكن غلطتي.»

« انها غلطتك بالتأكيد، كان الرجل ينظر اليك نظرات خبيثة منذ حل في الفندق، كان ينبغي ان تتخاشي القرب منه.»

« لكنني حاولت ذلك، وكنت اتجنبه، ولم اكن اعرف انه هنا بل على الشاطىء مع زوجته. ولم اكن اتوقع ان يتصرف بتلك الطريقة. انه في مثل سن ابي.»

« ان هذا انذار ... ولقد حان الوقت لتتحرري من الوهم فأنت لم تعودي فتاة صغيرة بعد. ولا ينبغي ان تنتظري المعاملة الابوية من احد حتى ولو كان في مثل عمر دريبر.»

علقت شارلوت:

« ما حدث هو غلطتك انت ... فلقد جعلتني أحس بأنني صغيرة لدرجة انني لا اثير رجلا. فأنت تعاملني كأنما انا صغيرة جداً وانت جدي. اريدني ان انظر اليك باعتبارك كذلك؟»

اتقدت عيناه بانفعال لم تستطع ان تفهم كنهه، هل هو الغضب؟ لم تكن متأكدة من ذلك.

وأجاب بطريقة مهذبة:« نعم يمكنك ان تفعلي كذلك.»

تركها وكان ذلك خاتمة الموضوع في نطاق عملها.

رحلت أسرة دريبز وحل محلها آخرون، وظلت الحياة رتيبة لمدة أسبوع او اسبوعين. وفي احدى الليالي بينما كانت شارلوت تستعد للنوم جاءت أمها الى غرفتها تقول:

«هل انت متعبة؟ هل يمكن ان اتحدث اليك بعض الوقت؟»

وضعت شارلوت فرشاة شعرها جانباً وقالت:

« عن اي شيء يا أماه؟»

« الموضوع يخص فلافيا كذلك ... وهي قادمة.»

جلست السيدة مارتن على الفراش تتفحص أظافرها، وكانت في الايام الاخيرة قد بدأت تطليها بطلاء عديم اللون، وعندما وصلت فلافيا قالت:

« اغلقي الباب يا عزيزتي حتى لا يقلق صوتنا كيث.»

أغلقت فلافيا الباب وهي تقول:« لماذا هذا المؤتمر العائلي؟ هل هناك شيء خطير؟»

« لا ... ولكن لدي ما أقوله لكما، ولا أدري هل هي مفاجأة. فربما تكونان قد فهمتما.»

نظرت اليهما متسائلة:

سألتها شارلوت:« ماذا؟»

« ان غوردون وانا ... فريزر طلب مني ان أتزوجه.»

حدقت الفتاتان في أمهما بصمت، ثم سألتها فلافيا:«وهل قبلت؟»

« لم أقبل بعد ... فلست متأكدة من شعوركما وشعور الصبيان نحو هذا الموضوع.»

« ولكن، ما شعورك أنت؟ هذا هو الأهم.»

« لا تكترثي بنا، ما الذي تريدينه أنت؟»

وقبل ان تجيب الام، واصلت فلافيا تقول:

« ينبغي ان تقولي نعم إعتقد انها فكرة عظيمة.»

« هل تعتقدين ذلك حقاً؟ ما رأيك يا شارلوت؟»

« اتفق مع فلافيا فالسيد فريزر رجل طيب ... ولقد استلطفته منذ اول مرة تقابلنا فيها.»

تنهدت هيلين وقالت:

« كنت أخشى ان يكون وقع النبأ عليكما سيئاً ... ولكن يبدو انكما كنتما مهيأتين لذلك، هل يوافق الاولاد؟»

أجابت فلافيا:

«بالطبع ... ولم لا يوافقون؟ هل عرف إيان بذلك .»

« قال غوردون انه سيخبر ايان الليلة.»

اضافت شارلوت:

« اعتقد ان إيان فطن الى ذلك فقد قال لي منذ ايام انه

يظن ان اباه سيقيم هنا بصفة دائمة، وقالها بطريقة تلفت النظر، ولكنني لم ادرك انذاك ما كان يعنيه.»

هزت أمها رأسها وقالت:

« اظن ان إيان لم يفهم قصد ابيه، فغوردون لا يزال في السادسة والخمسين من عمره وليس في نيته ان يعتزل الخدمة بعد، وحالته المرضية موقتة وليست خاتمة لحياته العملية. وسوف نعيش في بيته الذي يقع بالقرب من ادنبره.»

سألتها فلافيا في قلق:

« متى؟ وبعد كم من الوقت نرحل؟»

« لا زال أمامنا الوقت، ولم نتوصل بعد الى خطة محددة.»

« هل تتزوجين هنا أم هناك ؟»

قالت هيلين:« من الممكن ان يتم الزواج هنا، ولكن حتى ذلك لم يتحدد بعد، لم نقرر شيئا حتى الآن.»

أحست شارلوت ببرودة وصداع وسألت:

« وماذا عن وليام؟ هل عرف بالموضوع؟»

ابتسمت أمها وقالت:«أعتقد انه ربما فطن الى ذلك، فهو ذكي، وسأنزل للتحدث معه الآن.»

قالت شارلوت في تأثر:

« ولكنه يحتاج الينا، ولا نستطيع ان نهجره.»

« لا اعتقد انه يجد صعوبة في استخدام موظفين اكفاء، وغوردون معجب جداً بنشاط وليام وتفكيره، ويعتزم ان يسانده مالياً، ويعتقد ان الفندق استثمار ناجح والواقع ان وليام يحتاج الى رأس المال أكثر بكثير من حاجته الينا، سوف تتحسن أحواله كثيراً بعد ان نتركه.»

نهضت وهي تقول:
« انكما على درجة كبيرة من التعقل والفهم، طابت ليلتكما يا عزيزتيّ.»
قالت فلافيا بعد أن انصرفت أمها:
« تخيلي ان ماما كانت تخشى ألا نوافق، في رأيي انها فكرة ممتازة، لم اكن أحلم ابداً بأنها تتزوج من جديد وان نجد الحل لكل مشكلاتنا.»
قالت شارلوت في صوت خفيض:
« كل مشكلاتك انت.»
« ماذا تعنين؟ ألا تريدينها ان تتزوجه؟»
« اريدها سعيدة بالطبع، ولكنني بصفة خاصة لا اريد ان اذهب الى اسكتلندا.»
« بأمانة يا شارلوت، انا لا افهمك، امضينا كل حياتنا سجناء في الغابات المنعزلة، بعيدين عن كل شيء مثير، ألا تريدين ان تري العالم؟ ألا تريدين ان تعيشي ولو قليلا؟»
« انا اعيش هنا واحس بالانتماء الى هذا المكان، انني احبه.»
قالت فلافيا:« حسناً، بإمكانك ان تأتي الى هنا بإستمرار في المستقبل، اذا شئت.»
أحست شارلوت في الايام التالية كأنها منجرفة في دوامة. ولم يكن بوسعها برغم ما تبديه من مقاومة وعدم اكتراث ان تتفادى تلك الدوامة. كان هناك شخص واحد يستطيع ان ينقذها. ولكنه لم يبد عليه انه يدرك المأزق الذي تجد نفسها فيه. ومن سخرية الحظ ان الشخص الذي أحس بما تعانيه كان زوج أمها المنتظر.

سألها ذات يوم وهما يجلسان وحدهما:
« هل انت آسفة يا شارلوت لأنك عقدت صداقة مع إيان؟»
نظرت اليه في صمت لحظات ولم تستطع ان تتظاهر بأنها لم تفهم ما يعنيه، وقالت في هدوء:
« كلا انا سعيدة بهذه الصداقة التي تسعد أمي. إذ كانت حياتها قاسية وأنا لمسرورة بأنهاسوف تكون هانئة من جديد.»
« ولكنك لا تنظرين بعين الامل الى مستقبلك انت؟»
هزت شارلوت رأسها وقالت:
« لا احد من الآخرين يشعر بالانتماء الى هذا المكان. أما انا فأحس بهذا الاحساس. ربما كنت انكليزية بالمولد، ولكن فيما عدا ذلك انتمي الى هذه الجزيرة.»
ابتسم وقال:
« ولكن هذه ليست الجزيرة الوحيدة في العالم كما تعرفين فهناك جزر في اسكتلندا ايضا. وهي جميلة للغاية، ولن تحرمي من الاشياء التي تحبينها كالسباحة ورياضة القوارب وغيرها في الصيف.»
قاطعته قائلة :« ولكن الصيف قصير للغاية هناك، فهو يدوم أسابيع قليلة ، وإيان يقول ان الجو نادراً ما يكون حاراً هناك.»
وعلق السيد فريزر قائلاً:
« السعادة لا ترتبط بالمكان يا شارلوت، بل تعتمد على الصحبة وحتى لوكان عمرك أكبر بسنة أو سنتين واستطعت البقاء هنا اعتقد انك تحسين بالشعور نفسهعندما يذهب عنك احبابك وأعز من تعرفين.»

تجرأت على الاجابة:

« وهذا هو الذي لا يفهمه اي شخص ... ان أعز شخص لدي هو وليام.»

وتقرر بعد مناقشات طويلة ان يتم حفل الزفاف في اسكتلندا، ورحل إيان ووالده الى الوطن قبل رحيل أسرة مارتن ببعض الوقت.

مما أثار الدهشة ان وليام رفض عرض غوردون فريزر بالمشاركة في استثمار الفندق معتذرا بأنه قد يقرر ان يتخلى عن المشروع فجأة، ومع ذلك فإنه كما توقعت هيلين لم يجد صعوبة في استخدام عمال من القرية على الجزيرة الرئيسية بعد ان نسي الناس القصة الشريرة.

لم تستطع شارلوت ان تفهم سبب عدم اكتراث وليام الواضح برحيل أفراد أسرة مارتن. هل كان من الممكن أمام حبها العميق له ألا يبدي أية مشاعر تجاه أي من افراد الاسرة.

في الليلة الاخيرة التي قضتها الاسرة على الجزيرة كانت شارلوت تعاني من بؤس شديد جعلها تحس باليأس. وحين أوى الجميع الى فراشهم مبكرين استعدادا للرحلة الطويلة التي سيقومون بها في اليوم التالي، بقيت هي من دون ان تبدل ملابسها، وانتظرت لمدة نصف ساعة حتى ساد الصمت، وفتحت باب غرفتها في حرص وتسللت تهبط الدرج الحلزوني العريض.

وجدت شعاعا من الضوء يتسرب من اسفل باب غرفة وليام كما توقعت. اخذت نفسا عميقا ثم نقرت على الباب وسمعت صوته يقول:

« ادخل.»

كان يتمدد على كرسيه المريح وفي حجره كتاب وبين اصابعه سيكار. كان الرضى باديا عليه تماما. وعجبت كيف يحس بذلك الرضى بينما تعاني هي كل اليأس.

عندما عرفها، ارتفع حاجباه، وقال:

« أهلا يا ... شارلوت! أما زلت يقظة؟ كنت أظن انك استغرقت في النوم الآن، وخاصة انك ستستيقظين في وقت باكر غدا.»

« أريد ان اتحدث اليك يا وليام اذا أذنت.»

« حسنا!»

نهض وأثر دهشتها عندما قال:

« افضل ان نتمشى على الشاطىء حتى لا نزعج بأصواتنا الآخرين، فالاصوات تسري بسهولة في الليل.»

« حسنا.»

خيل اليها ان ضوء القمر سيساعدها على ان تبوح بمكنون نفسها ... وتبعته عبر الردهة وهي ترتعد من التوتر العصبي.

الفصل السابع

في الطريق الى الشاطىء، لم ينبس أحدهما بكلمة، هناك جلس وليام، وسألها وهو يجرف حفنة من الرمال:« ما الموضوع؟»

« لا اريد ان ارحل غدا.»

« ولكن يجب ان ترحلي يا شارلوت.»

تخلت عن كبريائها وقالت:

« انك لا تفهمني ... انا أحبك، أحبك يا وليام.»

مضت لحظات من دون ان يجيب ، وظل يراقب الرمال تنساب من راحة يده ثم قال:

« ما زلت صغيرة يا شارلوت، ولذا لا تخفين ما يختلج في قلبك. كنت أعرف منذ مدة بهذا الشعور.»

تمتمت في صوت ابح:

« ربما ظننتها دعابة ... او انني صغيرة على الحب.»

« كلا فالحب الاول أقوى حب وهو أكثر الانفعالات ألماً.»

« انه ليس ما تسميه الحب الاول ... انه حب حقيقي، دعني أبقى معك . ارجوك! من غيري أنسب اليك؟»

« انسانة تقترب مني في السن.»

« ولكن ما اهمية هذا؟ أعرف انني لست جميلة او ذات مركز اجتماعي مثل تارا، ولكنك تحبني، وفي اول مرة تقابلنا عانقتني. انا اكبر سناً الآن. إنني امرأة.»

قال ساخراً:« حقاً يا شارلوت؟ أشك في ذلك.»

« نعم، عانقني ثانية وسأثبت لك ذلك.»

خرج منه صوت كأنه ضحكة مكبوتة او انه غاضب، بينما بدأت سحابة تغطي وجه القمر ولم يعد بوسعها أن ترى وجهه بوضوح.

قال في هدوء:« أنت التي تطلبين ...»

وجذبها بين ذراعيه برقة، وضمت ذراعيها حول عنقه ولكن عندما عانقها ارتعشت ذراعاها.

تمتم في أذنها:« هيا الى غرفتي الآن!»

وتشنج جسمها وفتحت عينيها، وهمست:

« غرفتك؟»

« ولم لا؟ اذا كنت أحببتني!»

« لكنني ما قصدت ...»

أسكتها بعناق خشن لكنها صارعت لتخلص نفسها:« لا ... يا وليام ! لا تحاول!»

« ظننت أنك أحببتني.»

« نعم، أحبك، ونعم كبرت، ولكن ليس هذا هو الحب.»

ابعد يديه عنها وقال:« انا هكذا ... ما الذي صور لك ان بإمكانك تغييري؟»

« لم اتصور ولكنك لست هكذا!»

« انا انا ومعظم الرجال هكذا .. ففي الامور تكون المبادرة من جانب الرجل، فان اتت من جانب المرأة يساء فهمها، ولعلك تذكرين هذه الحقيقة في المستقبل.»

لم تكن لتصدق انه يمكن ان يتحدث بتلك الطريقة الوحشية، وسألها بمرارة:

« ألم يخطر لك ... من قبل انني لو كنت مشغولاً بك لتصرفت اي تصرف ... انك لا تحبينني ولكن

مفتونة برجل لا وجود له إلا في مخيلتك الصبيانية.»
أحست بصدمة كبيرة، كان كثيراً ما يلجأ الى اغاظتها ولكن لم يسبق له ان سخر منها.
اسرعت مبتعدة فأمسك بمعصمها يقول:
« والآن! انك لا تتحملين الانتظار حتى ترحلي غداً! ربما كان الوداع هو العلاج.»
خلصت نفسها وهي تقول:« انه كذلك.»
« ليس لك وحدك ... فمجموعة الاسرة المحيطة بي أصبحت شيئا لا يطاق ... الوحدة ليست مشكلتيعلى الاطلاق.»
أسرعت شارلوت الى الهروب.
لم يكن بإمكان شارلوت ان تخفي جفنيها المتورمتين في الصباح، ولكن أحدا لم يعلق، كان الجميع يشعرون بأسى الفراق، حتى فلافيا كانت تحاول ان تكبت مشاعرها. تغيب وليام عن الافطار ولم تره شارلوت إلا في الردهة قبيل العبور الى اليابسة . وودع الجميع فيوليت على الشاطىء. وبكت فلافيا كثيرا بينما لم يبق لشارلوت دموع تذرفها، وقفت عند الميناء في القرية تنظر عبر القناة الى الجزيرة التي لن تراها ثانية، كانت قد أحبتها أكثر من أي فرد آخر لكنها الآن كانت أول من ادار ظهره اليها.
وصلوا الى المطار بينما لا يزال أمامهم بعض الوقت قبل ان تقلع الطائرة، ثم حان وقت الرحيل.
صافحت هيلين وليام قائلة:
« لن ننسى كرمك يا وليام، أرجو ان تعنى بنفسك!»
قبل وجنة هيلين ووجنة فلافيا والتفت الى الاولاد

ثم قال:« وداعاً يا شارلوت ورحلة سالمة.»
رفعت بصرها اليه وقالت:
« وداعاً!»
لم يحاول ان يقبلها او يصافحها.
بدأت الطائرة تضاعف من سرعتها على المدرج وألقوا جميعا النظرة الاخيرة ولوحوا بأيديهم من النوافذ فيماعدا شارلوت التي فتحت احد كتيبات الطيران لتدرس خريطة الجزر، ولكن جزيرة سوليفان كانت اصغر من ان تسجل على الخريطة.
سألتها أمها وهي تمس ذراعها في عطف:
« هل انت بخير يا عزيزتي؟»
« نعم، ولماذا لا أكون كذلك؟»
« كنت أخشى ان يعتريك شيء من الاضطراب.»
« انا لا يضايقني الرحيل.»
حلقت الطائرة فوق المناطق غير الآهلة من شمال الاطلسي وكان الوقت ليلا وقد أخلد الجميع الى النوم وتذكرت وليام وهو يقول:« الحب الاول أقوى حب وهو اكثر الانفعلات الما.» وكيف أطلقها على عجل عندما قاومت وكيف حلقت فيما قبل ذلك بقليل في آفاق السعادة، وأقنعت نفسها بأن كل ما قاله لم يكن إلا تمثيلاً.
هبطت الطائرة في انكلترا فأحس الجميع بالسرور، وكانت أسرة فريزر في الانتظار، قالت فلافيا لاختها وهما تركبان السيارة الكبيرة:
« انظري! انها لا تمطر.»
توقفت السيارة عند إشارة مرور فرأت شخصين من الجزيرة، شريكين في المنفى، وقد تدثرا بملابس

شتوية رمادية بدلا من الملابس القطنية الفاتحة التي يلبسانها في بلدهما، وكانا يضحكان معاً وخطر لها: اذا كان بوسعهما ان يحتملا البعد عن الوطن فسيكون بوسعي انا ذلك.

* * *

ختمت شارلوت قصتها قائلة:

« كان ذلك منذ أربع سنوات والآن آن الاوان، انني عائدة ولكنني أحس بخوف مفاجىء. أخبريني برأيك يا أنيتا، هل أحبه حقاً؟ أم انه انفعال مراهقة؟ وماذا لو وجدته قد تغير؟ بل ماذا لو كففت عن حبه الآن؟ هل أكون أسوأ حالاً؟»

كانت انيتا تنصت باهتمام وسألتها:« ألم يكتب اليك؟»

« الم يكتب اليّ ولكنه ظل يكتب الى امي بعض الوقت.»

« وهل تعرف أمك بخبر رحلتك؟»

« كلا، لم اتحدث اليها ولا الى اي شخص على الاطلاق عنه قبل الليلة. لا بد ان تكون قد تخيلت شعوري نحوه عندما هجرنا الجزيرة ولكنها لم تقل شيئاً، وربما ظنت ان مشاعري عندئذ كانت مشاعر مراهقة سرعان ما تزول، هل هي كذلك؟»

علقت انيتا:

« لست متأكدة، ولكن القليل جداً من الناس من يصل الى النضج في سن الثامنة عشرة، ومن الخطأ ان تتزوج الفتاة في تلك السن، لكني لم اسمع عن مشاعر مراهقة تستمر لاربع سنوات، أعتقد انك ربما

احببته حقاً، هل بينك وبين نفسك تتمنين ان يكون وقع في حبك بالفعل؟»

« لا، فأنا متأكدة انه لم يكن يحبني ، ولكن الامر يختلف الآن، فلقد تعلمت الكثير في هذه السنوات الاربع.»

« واذا قدر لك ان تقابليه، فهل لا زلت تريدينه؟»

« بشرط ألا يكون ارتبط بأخرى.»

« لا اعتقد ان هذا محتمل.»

« ربما! ولكن ألا يكون خطي سيئاً ان اقضي سنوات اربع أدخر أجر السفر، وأخيراً أجده تزوج.»

وتهدج صوت شارلوت، عندئذ قالت أنيتا:« سهرت كثيراً وانت منهكة، انهضي الى الفراش، سأحضر لك شراباً ساخناً.»

« اخترت وقتاً مناسباً للغاية لأحكي قصتي ، يا للمسكينة أنيتا، ستكونين في غاية الارهاق غداً.»

« هراء انا سعيدة، ولم اشعر بالضجر على الاطلاق، لم اكن أفهم لماذا تتجاهلين الرجال الذين يهتمون بك، والآن فهمت السر، لابد انه يستحق اهتمامك، ذلك الرجل وليام هاملتون.»

« نعم، هو كذلك، او على الاقل كنت أظنه، منذ اربع سنوات.»

أحست شارلوت بالكآبة من جديد ، ودفعتها أنيتا برقة نحو غرفتها وهي تقول:« هيا، ادخلي، لن اتغيب كثيراً.»

سألت شارلوت عندما لحقت بها تقول:« ألم يخطر لك ان تكتبي اليه لتخبريه انك تفكرين في العودة لقضاء إجازة! ولتزوري الاماكن التي كنت ترتادينها.»

« فكرت في ذلك لكنني خفت، فربما لا يريد ان يراني ثانية، أريد ان اراه ولو لمرة واحدة، لأتأكد من شعوري نحوه.»

« انا لا اقول بأنك شارلوت مارتن الوحيدة، ولكن من المحتمل ان يعرف عن طريق إجراءات الحجز أنك شارلوت التي يعرفها وربما كتب الى أمك للتحقق من سفرك.»

« لا فقد حجزت باسم مستعار.»

« ماذا؟»

« حجزت باسم كلير مانيارد واخترت كلير مانيارد ليتفق الاسم مع الحروف الاولى المنقوشة على حقيبتي.»

« اذن سوف تستطيعين ان تختلسي النظر اليه قبل ان يتعرف عليك.»

« لا اعتقد بوجود فرصة ليتعرف عليّ تواً ... ولسوف أضع نظارة قاتمة، وشالاً على شعري.»

« واذا ما تبين لك انه لم يكن بحال الرجل الذي أحببته؟»

« عندئذ تكون لي الحرية في ان احب شخصاً آخر.»

غطت وجهها بكفيها وقالت:

« ولكنه لن يتغير ، انا واثقة، ليس هناك رجل مثل وليام.»

سألها كاتب الاستقبال وهو يستكمل الاجراءات:

« هل استمتعت برحلة طيبة ... يا آنسة مانيارد؟»

« نعم ... أشكرك.»

لم تكن تتوقع ان تجد تغييراً يشمل كل شيء تقريباً.

ملأت البيانات المطلوبة وهي في حالة تشبه الدوار، وحرصت على ألا توقع باسمها الحقيقي.

شكرت الشاب الذي حمل حقيبتها الى الطابق العلوي وأعطته الاكرامية.

كان المبنى في أول الامر يضم اربع غرف كبيرة شامخة على الواجهة. لكل منها نافذتان وباب ذو كوة في اعلاه يؤدي الى الشرفة الخارجية ، ولكن هذه الشرفة قسمت الآن الى اربع شرفات منفصلة، وتحولت الغرف الداخلية الى اجنحة وخصصت لشارلوت الغرفة التي كان وليام يتخذها مخدعاً، وأصبحت الآن تضم غرف الجلوس والنوم وحماماً صغيراً. وأستعين بسقف صناعي لتصحيح ارتفاعات السقف الاصلي. وبدا الجناح في طراز أمريكي ينسجم مع الطريقة التي تحدث بها كاتب الاستقبال.

جذب انتباهها لأول وهلة بطاقة دعوة من الادارة وضعت الى جانب برميل شراب تقول:

« اخدم نفسك بشراب كوكتيل جزيرة مانغو.»

خدمت شارلوت نفسها وخرجت الى الشرفة وهي تحمل كوبها بيدها وأسندت مرفقيها الى الدرابزين تحدق في دهشة الى الحديقة الممتدة بين المبنى والشاطىء في تنسيق وجمال.

كان بعض النزلاء يتمدد على مقاعد وثيرة تحت سعف النخيل، وكان احد الخدم يلبس سترة بيضاء ويقوم بتقديم المرطبات بينما يهرول زميله الى الفندق ومعه صينية مليئة بالكؤوس الفارغة.

تردد في سمعها صوت من الماضي ... إعلان عاطفي صدر عن فتاة صغير تقول :« سأشتري

الجزيرة في يوم ما واعيش هنا وازيل كل الاشجار بين المبنى والشاطىء وأنشىء حديقة جميلة ... سيصبح أجمل مبنى ... وسيتمنى جميع الاثرياء الامريكيين ان يشتروه ... لكني لن ابيعه حتى بمليون دولار.»

كانت الجزيرة تساوي الآن مليون دولار ... ولكن لم يكن حلمها هو الذي تحقق، لقد انمحت جزيرة سوليفان مركز الخوف والغموض الى الابد. وأصبحت جزيرة مانغو حلم السائح وليس حلمها.

أطلقت تنهيدة: «انها ليست بحال كما رأيتها ... ربما كان كل شيء وهماً وربما كان وليام هو الآخر كذلك.»

وقررت ان تبقى في غرفتها حتى المساء لتستريح، فاستحمت وتعطرت. وهبطت الدرج الى العشاء ولتسأل عنه.

كان للهاتف الموضوع في البهو ثلاثة ازرار ... أحدها لخدمة الغرف والثاني للمضيفة والثالث للمكتب، ضغطت شارلوت على الزر الخاص بالمكتب، سمعت صوتا يجيبها فقالت:

« الآنسة مانيارد من الجناح رقم ٦ تتكلم، هل يمكن ان اتحدث الى السيد وليام هاملتون؟»

« آسف يا آنسة مانيارد! غير ممكن الآن! هل ثمة مشكلة؟ او مساعدة؟»

« لماذا لا استطيع التحدث الى السيد هاملتون؟»

« السيدهاملتون غير موجود ... ليس هنا يا آنسة مانيارد.»

« اذا اين هو؟»

« في رحلة عمل يا سيدتي، ولكن السيد لندو على استعداد لخدمتك، وسأوصله بك!»

« لا انتظر! لا تكلف نفسك العناء! كنت اريد ان اتحدث الى صاحب الفندق؟ متى يعود؟»

« يوم الجمعة؟»

« فهمت ... أشكرك!»

أعادت السماعة الى مكانها.

يوم الجمعة! خمسة ايام انتظار! خمسة أيام! لم يكن قد خطر لها على الاطلاق انه ربما يكون مسافرا، يا للحظ العاثر!

اتجهت الى غرفة نومها وتمددت على الفراش واستسلمت للبكاء ... ثم استغرقت في النوم بعد فترة. استيقظت وكانت الغرفة أكثر ظلاماً وعرفت انها نامت قرابة الساعتين. وادركت من الضوء الذي ينفذ من خلال الدلف الخشبية ان الوقت قبيل الغروب بدقائق وقدتحول الوهج الناري من الاضواء البنفسجية والحمراء والذهبية الى ليل. ثم تذكرت الايام الخوالي التي كانت تعرف فيها الوقت لا من عقارب الساعة بل من لون البحر، وظل الشجر وحرارة الظهيرة، ونسمات العطر اللطيفة.

سمعت صوت موسيقى لم تكن متأكدة من مصدرها وكانت مصابيح الحديقة قد أضيئت لبست فستاناً قصيراً أخضر من الحرير لتحضر به العشاء.

كانت آخر نزيل دخل قاعة الطعام، وابتهجت عندما وجدت مائدتها في احد جوانب القاعة. كان بوسعها ان تراقب الآخرين بمنأى عن عيونهم، وتفحصت قائمة الطعام.

اختارت صنفاً لذيذاً من الحساء وهي تمعن النظر في وجوه النزلاء لكنها احست بشخص يتفحصها من مائدة خلفها. التفتت بطريقة عارضة، فتقابلت عيناهما وابتسم لها. واستطاعت ان ترجح انه شاب أمريكي جاء وحيداً.

أحست به طوال العشاء يحدق اليها.كانت طريقة الطهو ممتازة، والخدمة كذلك ولم تكد تفرغ من تناول الحلوى حتى جاءها الخادم يسألها:

« فنجان قهوة يا سيدتي!»

« شكراً ... سأشربها في قاعة الانتظار.»

شكرته شارلوت وتركت قاعة الطعام. وقررت ان تستطلع التغييرات التي دخلت على مؤخرة المبنى. خطر لها: اذا كانت فيوليت هنا فسوف أقابلها ان عاجلاً او آجلاً ... ولن تتنكر لي.

اكتشفت وجود ملعب للتنس وعدداً من الممرات المضاءة بالمصابيح تتفرع أمام مجموعة من الاكواخ تحمل أسماء مثل كوخ دولفين كوخ المرجان وغيرهما ... وكان من الواضح ان وليام بنى العديد من الاجنحة الستقلة التي تفضلها الازواج الجدد.

وعادت لترى التغييرات التي ادخلت الى قاعة الانتظار ووجدتها قد شغلت بأفخر الاثاث.

أحضر الخادم القهوة وأخذت تقلب صفحات المجلة الامريكية المعروفة باسم هوليداي وسمعت صوتاً يقول لها:« اعتذر عن مضايقتك على مائدة العشاء، لا أستطع ان اقاوم رغبتي في ان ارسمك، ولكنني لن اكرر ذلك.»

كان هو الامريكي الذي يقيم بمفرده في الفندق،

ووضع ورقة على المجلة التي أمامها، ووجدت ان الصورة لها بالفعل وقد رسمت بدقة ومهارة وسألته:« وكيف عرفت انني تضايقت؟»

« لأنك جلست في توتر حتى ألهاك الطعام عني، أكرر اعتذاري لقد جذبت الطريقة التي تصففين بها شعرك انتباهي، والرقبة الطويلة علامة الجمال، ليس هذا اطراء ولكنها الحقيقة.

سألته:« هل الرسم مهنتك؟»

« نعم، جئت الى هنا لاسباب صحية من جهة ولأقوم بتسجيل بعض الانطباعات كواجب مهني من جهة أخرى، آسف لم احضر لأقص عليك قصة حياتي ولكن لاعتذر، وسأجلس مستقبلاً في مكان آخر، أسعدت مساء يا آنسة!»

خرج وقد ترك الرسم معها ، وكان يعاني من عرج بسيط وفكرت في الاسباب التي وراء علة ساقه وظنت انها تستلطفه الى حد ما.

وصعدت الى الطابق العلوي وفي نيتها ان تنام مبكرة لتصحو مع الشروق وتستحم في البحيرة قبل ان يصحو الآخرون. لكنها قابلت على الدرج العريض امرأة من الجزيرة ذات صدر بارز وفخدين عريضين تلبس فستاناً بحرياً أنيقاً له ياقة بيضاء وتحمل سلة من المفاتيح ولوحات للكتابة وتثبيت الاوراق.

ابتسمت المرأة وكادت تواصل سيرها لكن شارلوت أمسكت بذراعها قائلة:

« فيوليت! ما اروع ان اراك ثانية!»

تموجت عينا فيوليت وهي لا تكاد تصدق:

« شارلوت الصغيرة!»

اغرورقت عينا شارلوت بالدموع وكذلك فيوليت التي ألقت بالمفاتيح وعانقتها عناقا حارا وانهالت الاسئلة من كل منهما ثم توقفتا وهما تضحكان من الاضطراب الذي وقعتا فيه.

قالت شارلوت:

« لا نستطيع ان نتكلم هنا، لنذهب الى غرفتي. لكن لا تخبري أحداً يا فيوليت انك تعرفينني، الاسم الذي يناديونني به هنا هو كلير مانيارد، اريد ان تكون مفاجأة لوليام عندما يعود من بارابادوس كيف حاله يا فيوليت؟ هل تزوج؟»

« وليام؟ يتزوج؟ يتزوج؟ ليس لديه وقت للزواج يا حبيبتي، لقد تزوج العمل، تغير كثيرا بعد رحيلكم انه يريد ان يجعل الفندق أفخم من قصر باكنغهام.»

فتحت شارلوت الباب، وقالت:

« هل تظنين انه سيسر لرؤيتي؟»

« لا اتصور أنه ينساكم بعد المساعدة التي قدمتموها اليه.»

« تعالي واحكي لي اخبارك، انك تبدين وكأنك رئيسة مستشفى في هذا الزي، هل هو زي العمل الرسمي؟»

قهقهت فيوليت:« انا مديرة الفندق الآن، ومن واجبي ان البس زيا انيقا.»

تحدثتا لوقت طويل، وقالت فيوليت:

« كنت اظنك تزوجت الآن، ولديك أطفال يا آنسة شارلوت؟»

« أوه يا فيوليت! لست الآنسة شارلوت بل ناديني حبيبتي. كما كنت تفعلين كي أحس بالسعادة من جديد. ألست سعيدة هناك؟»

« اوه ! نعم، ولكنني كبرت الآن، والحياة ليست بالبساطة كما كانت فيما مضى.»

« ارجو ان تحتفظي بوجودي سراً حتى يعود وليام.»

انصرفت فيوليت الى عملها بعدما تمنت لشارلوت ليلة سعيدة.

كانت ظلال المبنى لا تزال تمتد على معظم الحديقة عندما خرجت شارلوت للسباحة في الصباح التالي وانزلقت في الماء وقد أطلقت تنهيدة تعبّر عن سرورها الكامل. لم يكن ثمة شبه بين مياه البحر في انكلترا وهذه المياه الدافئة اللامعة التي عانقتها بحب لايقل عن حب فيوليت وعناقها في الليلة السابقة.

فكرت بصوت عال وهي تغوص الى ما تحت السطح تقول للمياه:« انك لم تتغيري.»

لم تمكث طويلاً تحت السطح فقد عانت من نقص التدريب، كما انها خشيت ان تحمر عيناها فتشوه الصور التي يراها وليام عندما يتقابلان بعدالزمن الطويل الذي انقضى.

عادت الى سطح الماء من جديد تسبح في استرخاء كما يفعل السياح.

كان هناك شخص آخر استيقظ في تلك الساعة الباكرة: السائح الامريكي الذي لم تكن قد عرفت اسمه بعد. وقد وصل الى المكان في الوقت نفسه حين خرجت هي من المياه وقال:

« صباح الخير، حسبت انني الطائر الوحيد الذي يحوم في هذا الوقت.»

خلعت غطاء رأسها، ونفضت الماء عن شعرها الطويل وهي تقول:« انه افضل الاوقات لي.»
سألها وهو يعاونها على ارتداء روبها:
« هل حضرت الى هنا من قبل؟»
« نعم ... وهل سبق لك انت ذلك؟»
« لا، هذه اول زيارة لي.»
جففت وجهها وأخذت تستنشق هواء الجزيرة الطلق، وقالت في سعادة:
« أشعر بلذة الحياة ، وأحس ان بوسعي ان ادفع عجلات احدى العربات.»
سألها مبتسما:
« اطلب لك طعام الافطار هنا اذا رغبت!»
« سأطلبه بنفسي، ويمكنك انت ان تستحم ، ولكن ... هل اطلب لك كذلك. كم ستمكث في الماء؟»
«لن امكث طويلاً.»
قابلت شارلوت أحد الخدم وهي في طريقها الى المبنى ، وطلبت الافطارلشخصين... عندما عادت الى الشاطىء كان الاميركي وقد وصل الماء الى رقبته، وكان قد خلع رداءه وتركه قرب حافة الماء. وعندما خرج ارتداه قبل إن يجتاز الرمال الى حيث جلست، لكنها رأت شيئاً أراد ان يخفيه، انه آثار جرح مروع في ساقه. وعرف انه رأته فقال بعد ان جلس الى جوارها:
« آسف ... كنت اود ان اخفيه ... فانه منظر بشع.»
« ولكن كيف وقع ذلك؟»
« في حادث سيارة وكدت ان افقد ساقي لولا حسن حظي، ارجو ان تنسي انك رأيتها، أخشى ان

يطلبوا مني مغادرة الفندق لأن منظر ساقي مزعج للنزلاء.»
« ليس فيها ما يوجب الضيق للآخرين، ومع ذلك فهناك شواطىء صغيرة حيث لا يراك احد وسأصحبك الى احدها اذا أحببت.»
« أشكرك ! ما رأيك في ان يكون اليوم؟ اذا لم يكن لديك برنامج آخر.»
« انا حرة حتى يوم الجمعة.»
« حسناً ... حالما تنتهين من الافطار سأحجز قارباً ونخرج للاستطلاع .»وتابع قائلاً:
اسمي بينامين بالمر وينادونني بن.»
أخذته الى احد الخلجان الصغيرة بين الجزيرة والموقع المعروف باسم هورتينسيا.
بعد ان سبحا قليلاً حان الوقت لفتح سلال الطعام التي كان الفندق قد اعدها لهما، وسألها:
« ماذا عن يوم الجمعة؟ قلت انك حرة حتى ذلك الوقت.»
« اتوقع ان أقابل صديقاً قديماً.»
« رجل.»
« نعم!»
« اغفري لي فضولي، ولكن، هل انت مرتبطة بشخص آخر؟»
« لماذا تسأل؟»
« لأنك في الدقيقة التي عرضت فيها ان تريني هذا المكان بدا عليك شيء من الضيق.»
« انك شديد الملاحظة.»
وحولت مجرى الحديث فقالت:

« اعتقد انك شديد الحساسية لحالة العِرج التي تعاني منها، انها حالةبسيطة للغاية، فضلاً على انه لديك كل المقومات.»

ضحكِ وقال:

« حقاً؟ وما هي تلك المقومات؟ بالتأكيد ليس منها المال ... برغم وجودي في هذا المكان لبعض الوقت القصير.»

تناولا طعام العشاء معاً، وعرفت انه سبق ان تزوج وهو في العشرين من زميلة له في الدراسة وعاشا في سعادة لمدة خمس سنوات.

ولم يكن قد مضى أسبوعان على زيارتها للطبيب الذي اكد انها حامل قاما برحلة لزيارة والديها، وشاءت الاقدار ان تصدمها سيارة تخطت اشارات المرور. هكذا ماتت متأثرة بجراحهابعد ثلاثة ايام.

دمدمت شارلوت وقد روعتها رواية الحادث:

« أوه ... بن!»

« ما كان ينبغي ان اقصِ عليكِ ذلك ... وفي اي حال فقد استمتعنا استمتاعا كاملاً بخمس سنوات بينما هناك أناس لا يستمتعون ولو بقدر يسير من حياتهم.»

عندما حان الوقت ليقول كل منهما للآخر – طابت ليلتك – أحست شارلوت كأنما تقابلا منذ زمن بعيد. ذهبت في الصباح التالي لتأخذ حمامها الباكر ... فكان قد سبقها الى الشاطىء وأمضيا معاً يوما ممتعاً.

ويوم الاربعاء ذهبا الى العاصمة وأخذ بن معه اوراق الرسم وأمضى قرابة الساعة برسم منظر

الواجهة البحرية. بينما أمضت شارلوت الوقت في تجوال حول المدينة تلقي نظرة على المتاجر العديدة الجديدة التي فتحت بعد رحيلها.

خطر لها وهي تعنى بوجهها استعداداً للأمسية: بعد يومي سيكون وليام هنا. قال لها بن عندما لحقت به الى المطعم:« أود ان اقضي نهار الغد أرسم صورة لك ... اذا كان ذلك يناسبك.»

وافقت قائلة:

« لا مانع.»

قال وهما على وشك الانتهاء من العشاء:

« يبدو عليك شيء من التغيير ... هناك ومضة جديدة أراها فيك اليوم.»

« حقاً؟ ربما كان ذلك من أثر الشمس ! وانا احب ان تصبغ بشرتي.»

« ولكني أشك في استعدادي للعيش في هذا المناخ، انني لا أشعر بالحيوية.»

« أما انا فالطقس البارد هو الذي يجعلني كسولاً، وهنا اصحو مع الفجر وأظل يقظة حتى منتصف الليل، وطاقتي تتضاعف ، ربما هذا هو السبب ...»

جاء صوت وليام هاملتون يقول:

« اسعدتما مساء!»

رفعت شارلوت بصرها ورأت وليام يقف الى جوار المائدة يراقبها بتعبير لا تفهم كنهه. انه التعبير الذي بدا على وجهه وهو يودعها منذ اربع سنوات. وأحست كأن العالم يتأرجح من حولها ، سأل وهو يلتفت الى بن:« السيد بالمر؟ والآنسة مانيارد؟»

نهض الامريكي يقول:« نعم.»

« انا هاملتون صاحب الفندق. اتمنى ان تكون الخدمة بالدرجة اللائقة من العناية، وان ترضى جزيرة مانغو توقعاتكما.»

« اننا نستمتع بوقتنا الى حد بعيد.»

« هل تأذنان بأن أجلس معكما لحظة؟»

« بكل سرور!»

كان بن على وشك أن يشير الى الخادم ولكن الرجل الآخر أوقفه وأعطى أمرا بصوت خافت.

قال بن:

« لا أظن انني رأيتك من قبل يا سيد هاملتون.»

« لا ... كنت في باريادوس، ووصلت منذ اقل من ساعة، وقيل لي يا آنسة مانيارد انك تريدين ان تتحدثي الي.»

قالت بصوت ابح:« نعم ... نعم.»

قال بن اذ لاحظ صوتها:« أأنت بخير يا كلير؟»

نظرت الى وليام وهي لا تستطيع ان تحول بصرها عنه، وواصلت تقول:

« اسمي ليس كلير يا بن، اسمي شارلوت، شارلوت مارتن ، وآسفة لأنني خدعتك خدعة بريئة، أردت ان اعمل مفاجأة للسيد هاملتون، فقد تقابلنا من قبل، ولكن المفاجأة ردت الي.»

ووجهت الكلام الى وليام تقول:

« قالوا انك سوف تتغيب حتى الجمعة.»

« استطعت العودة قبل ما توقعت، كيف حالك؟»

« انا بخير ... وكيف حالك انت؟»

« بخير تام! وكيف حال الاسرة؟ هل هم جميعاً بخير؟»

« نعم ... شكراً.»

ووجه وليام الحديث الى بن:

« كانت الآنسة مارتن وأسرتها تعيش هنا في يوم من الايام، وربما حدثتك بذلك.»

كان بن لا يزال يعاني من اختلاط الامر، وقال:

« عرفت انها هنا من قبل.»

أحضر الخادم الضيافة التي أمر بها وليام له ولضيفه.

سأل وليام بالمر:

« هل جربت أياً من رياضات الصيد، يا سيد بالمر؟ ام انك تفضل إجازة فيها شيء من الاسترخاء؟»

« لا، اقصد نعم، ولكن اعتقد ان لديكما الكثير لتتحدثا عنه. فاعذراني!»

ونظر وليام الى ساعته، وقال:

« لا، أنا من يجب ان ينصرف، قطعت عليكما الجلسة، وهناك مسائل كبيرة تحتاج الى عنايتي بصفة عاجلة ، سيكون بوسعي انا والآنسة مارتن ان نتحدث فيما بعد، أسعدت مساء يا سيد بالمر!»

نهض ومد يده مصافحاً. وانحنى لشارلوت، ومدت يدها، فقد احست انها بحاجة الى ان تمس يده لتقنع نفسها انه هو الذي كان هناك حقا. كانت قبضته لا تزال قوية، لم يتغير فيه شيء على الاطلاق، كان شكله كما عرفته طويل القامة ذا بشرة نحاسية، ازرق العينين . وبالنسبة لها اقوى الرجال جاذبية على الارض.

بقي بن بعد ان تركهما وليام عدة لحظات واقفاً ... وحاولت شارلوت ان تجبر نفسها على ان تدرس

رد الفعل لديه في الدقائق القليلة الماضية ومست بيدها كمه تقول:

« آسفة ان كذبت عليك يا بن ... اقتنعت الآن انني كنت على درجة كبيرة من الغباء عندما استخدمت اسماً مستعاراً.»

جلس وقال:

«لا يهم ... لا تشغلي بالك يا ... يا شارلوت!»

ابتسم وهو يتابع:

« سيمضي بعض الوقت قبل ان اتعود على ندائك باسمك ... شارلوت!»

« انا مندهشة انك ما زلت تتحدث الي.»

« أوه! لا تقولي ذلك ... فأنا واثق انه كان لديك من الاسباب مما جعلك تفعلين ذلك، واعترف ان الموقف يحيرني الى حد ما ، فعندما ظهر هاملتون بدا عليك الاضطراب ، ولكنه كان يتصرف ببرود تام.»

« نعم، كان بارداً، أليس كذلك؟ شديد البرودة.»

قال بن:« لا اود ان اكون متطفلاً، ولكن لدي إحساس بأنه من المفيد ان تتكلمي ... اعتقد انك تحبين ذلك الرجل.»

سألته مذعورة:« هل بدا علي ذلك؟»

« لا ... ولكن بدا انك أخذت بالمفاجأة لبعض الوقت.»

« هل نذهب الى مكان نحس فيه بأننا أكثر حرية؟ أحس ان الضوضاء زائدة في هذا المكان الليلة.»

« بالتأكيد ... ما رأيك في الشرفة الخارجية؟»

جلسا على كرسي هزاز عند طرف الشرفة الخارجية، وكان لا يزال بوسعهما ان يسمعا الضجيج ولكن

بدرجة خافتة. قال بن:« من حسن الحظ ان هاملتون عاد في وقت أبكر مما يتوقع، ولا بد أنك احسست بالصدمة عندما لم تجديه هنا.»

« نعم، كان ذلك إحساسي.»

« قد يحدث الكثير في يومين ... فلو لم يعد يوم الجمعة ربما كنت قدوقعت في حبك.»

« أوه يا بن في خمسة ايام ...»

« أعرف .... ولكني أحس بالوحدة ... وانت جميلة. وهذا المكان تلتهب فيه العواطف، وفي اي حال أوضحت منذ البداية انك مشغولة بشكل ما. فلو حدث ذلك لما كانت غلطتك. اعتقد ان كثير من الرجال قد يقعون في حبك يا شارلوت لو انك شجعتهم على ذلك، انك شخصية محبة ، وليس هذا علاقة بمظهرك، فالعنصر الهام لديك هو شخصيتك، واذا كنت قد احببت هاملتون وهو لا يبادلك الشعور نفسه فلا بد ان في عقله خللاً.»

ولما لم تجب واصل يقول:

« ربما هو مهتم بك بالفعل، ولكنه مرتبط، هل هذه المشكلة؟»

« أوه! لا، لا شيء من هذا، وليام غير مرتبط بأحد.»

ووجدت نفسها للمرة الثانية في أسبوع واحد تحكي ما حكته لأنيتا بعد ان ظلت صامتة لسنوات.

علق بن:« فهمت، وبعد ان قابلته الآن، ألا تزالين تحسين بالشعور نفسه؟ ألم يتغيرعن صورته التي في ذاكرتك؟»

« انه هو تماماً ... ولكنه لم يبق معنا سوى دقائق قليلة، ربما يكون قد تغير وربما عندما اتكلم معه...»

توقفت ثم واصلت تقول:
« ولكنه لم يكن شديد الحماس للكلام معي ... أليس كذلك؟»
« كلا، ولكن للحق فانك انت ايضاً لم تظهري حماساً كبيراً. ولم توضحي له انك كنت معي فقط لتمضية الوقت حتى يعود، لو كنت في مكانه ووجدت فتاتي التي لم ارها لاربع سنوات تتناول عشاء مع شخص آخر ... لتسربت الي الشكوك.»
نهض وهو يقول:
« وزيادة على ذلك، لا اعتقد اننا ينبغي ان نبقى هنا لفترة أطول ... فقد نوحي الى الآخرين بمن فيهم هاملتون بانطباع غير حقيقي، وربما هو يتحين الفرصة الآن ليجدك وحدك، هيا بنا الى الداخل ولنودع بعضنا بعضاً على مرأى من الآخرين وبعدها أذهب الى غرفتي لاكتب بعض الرسائل... بوسعك ان تجلسي في قاعة الانتظار قليلاً . ولا اعتقد انك ستبقين وحدك لفترة طويلة.»
سألته شارلوت:
« هل انت واثق من ذلك؟»
فأجاب:
« انا واثق.»
ولكنه كان مخطئاً ... اذ جلست شارلوت وحدها قرابة ساعة في قاعة الانتظار تأمل كي يظهر وليام ثانية ولكنه لم يفعل. وصعدت الدرج بفتور وهي تعرف انها لن تجد سبيلها الى النوم وانها في صبيحة اليوم التالي سوف تصحو منهكة وعلى غير استعداد لمقابلة أكثر فشلاً معه.

وفكرت: كان جنوناً ان افكر في العودة؟ لماذا لا استطيع ان انسى وليام وأحب شخصاً آخر مثل بن؟
وعندما دخلت غرفتها وأشعلت الضوء، وجدت مظروفاً في غرفتها. هل هي رسالة من بن؟ وخلعت رداءها وعلقته، واسترخت في كرسيها قبل ان تفتح الرسالة لتقرأ:
« أتسمحين بأن نأخذ الافطار معاً في الثامنة صباح الغد في كوخ الدولفين.»
كانت الرسالة موقعة بالحروف الاول – « و»

الفصل الثامن

بذلت شارلوت جهداً كبيراً لتتأخر عمداً بضع دقائق عن موعد الافطار مع وليام ... كانت تمشي على مهل في طريقها الى كوخ دولفين، مع انها ظلت تنتظر ذلك منذ الشروق بفارغ الصبر ثم بدّلت ثيابها أكثرمن مرة لتبدو كأبهى ما تكون عند اللقاء. وانفتح باب الكوخ الخشبي على الفور عندما نقرته أشار وليام اليها بالدخول وعظامها تذوب تحت نظراته. قادها من غرفة الجلوس الى ممر صغير تظلله أشجار الكروم يطل بزاوية مائلة على الشاطىء الصغير. واختفى في الداخل لحظة بعد ان اجلسها حول منضدة زجاجية مستديرة، وعاد ومعه إناءان بهما شرائح الكريب فروت وإناء آخر كبير مليء بالقهوة. وجلس على الطرف المقابل من المنضدة.

« إذن رجعت يا شارلوت ... هل وراء الزيارة سبب خاص؟»

غمست ملعقتها في الفاكهة الطازجة قائلة:

« جئت أقضي العطلة واستطلع حال المكان ... كدت ألا أعرفه بعدما ادخل عليه من تغييرات، لكنك كما قالت فيوليت:

تشقى كثيراً وتعطي وقتك للعمل ولا تجد فرصة للمتعة. هل اصبحت حقاً من اصحاب المال؟»

«اشقى الى حد ما ... واجد متعة عندما ابني من لا شيء ... وانت تعيشين في لندن على ما اعتقد؟ هل تحبين الحياة هناك؟»

« هناك الاعمال المحترمة والاعلام من الناس وأفضل المتاجر والمعارض، وحفلات الموسيقى.»

« لكن، ما عملك بالضبط؟»

« مديرة اعمال لرئيس احدى الشركات العالمية للبلاستيك.»

«صرت في غاية الاناقة وتبدين وكأنك عارضة ازياء!»

« اشكرك ... لعلي صرت أفضل حالاً مما كنت عندما رحلت من هنا وبذا قادرة على اقتحام الحياة.»

« كم من الوقت تقيمين هنا؟»

« تسعة ايام أخرى.»

« هل تواصلين إجازتك في مكان آخر؟»

« كلا ... سأعود الى لندن.»

قال وهو يقدم اليها سلة الخبز:«رحلة طويلة ومكلفة لاسبوعين فقط! لا بد انك تتقاضين راتبا مغريا.»

قالت في شيء من اللامبالاة:« طبعا ... أشكرك فأنا لا أفطر الآن ... فقط قهوة بدون حليب من فضلك.»

نظرت الى شجرة الكرمة التي تلقى ظلالها على الفناء وقالت:

« لم اتعود بعد على هذا المكان ... هذه الارض ... كانت برية في يوم من الايام.»

وقعت عيناها عليه، وقالت:

« يبدو انك متوتر بعض الشيء يا وليام. هل تخليت عن شبابك المرح وأصبحت تفضل شؤون العمل على الحب؟ أتذكر تصريحي المخجل والمرعب وأنا في الثامنة عشرة من عمري؟»

« نعم أذكر ولكن بدون رعب.»

احتست قهوتها، وواصلت تقول:
« كثيراً ما فكرت فيما كان سيصيبك لو انني استجبت لا غوائك في تلك الليلة.»
« اغوائي؟»
« نعم ... إنك لم تنس بالتأكيد ... ماذا كنت تفعل لو انني قبلت عرضك وذهبت معك الى غرفتك؟»
قال في لهجة مقتضبة:
« لا اعرف ! لماذا رجعت يا شارلوت؟»
« قلت لك ... لأقضي الاجازة ... ولأجدد صلتي بأصدقائي القدامى ... ولكن أحدهم ليس مسروراً لرؤيتي.»
علق قائلا:
« انا ... مسرور بالطبع ... ولكنك تغيرت كثيراً، هل تخرجين في إجازاتك باسم مستعار دائماً؟»
« أردت ان اجعلها مفاجأة لك.»
« بينما انا الذي فاجأتك ... وأرجو ألا أكون قد سببت لك اي مشكلة في الليلة الماضية.»
« على الاطلاق ... ولماذا تظن ذلك؟»
« احسست بشيء من الضيق في سلوك بالمر.»
« لقد تخيلت شيئاً لا وجود له ... فليس هناك شيء بيننا ولم اتعرف به إلا منذ بضعة ايام ولمعلوماتك فان بن بالمر لم يشف تماما من الازمة التي يعيشها بسبب فقدان زوجته ثم انني لا ابحث عن اجازة غرامية.»
نظر الى يدها اليسرى، وقال:
« أرى انك لم تتزوجي او تخطبي بعد ... ام ان عدم وجود الخاتم مسألة مقصودة؟»

« كلا ... فأنا ما زلت حرة.»
« ربما لا تريدين الزواج ... كما تفعل فتيات كثيرات الآن.»
« لا ينبغي ان تصدق كل ما يقال عن المجتمع المنحل، ربما ينطبق ذلك على قلة من الناس ولكن ليس على الغالبية.»
كانت المحادثة ينقصها الحماس وبعد صمت دام لفترة قالت شارلوت:« حسناً ... لا شك ان لديك أعمالا تستحق اهتمامك اكثر من الحديث عن الماضي ... ومن الافضل ان اتركك لتهتم بها.»
نهضا ولكن شيئاً لمع في عينيه الزرقاوين القاتمتين وتوقعت ان يقول:
« لا اريد العمل! سأمضي اليوم معك .» لكنه بدلاً من ذلك قال :
« يجب ان نتحادث ثانية في وقت آخر.»
هرولت شارلوت الى المبنى الرئيسي تفكر محمومة: لماذا اعيش على الامل حتى الآن؟ انه لم يحبني ولن يحبني.
اعترض البواب طريقها، وسلمها رسالة مغلقة قائلا:«ترك السيد بالمر هذه الرسالة لك يا سيدتي.»
« أشكرك.»
فضت الرسالة. وقرأت عليها بخط بن الواضح الجميل:
« عزيزتي – غادرت الفندق وانا اقاوم رغبتي في ان اودعك شخصياً. وعندما تصلك هذه الرسالة اتمنى ان يكون قدتم إصلاح كل ما بينك وبين هاملتون، حظا سعيدا يا شارلوت. وشكرا على

www.elromancia.com

الذكريات الجميلة الغالية... المحب: بن.»
كان بن غادر الفندق بالفعل وعبثاً حاولت ان تتصل به.
صعدت الدرج منهكة كأنها كانت تختتم يومها مع ان الوقت لا يزال في الصباح ... ووقفت أمام باب الغرفة تبحث عن المفتاح ودموع اليأس على وجنتيها. فاجأتها فيوليت تقول:
« صباح الخير يا حبيبتي، هل نمت نوماً هادئاً؟»
« أهلا يا فيوليت ... معذرة فانني علي عجل.»
فتحت الباب لتختفي عن الانظار آملة ألا تكون فيوليت قد لاحظت بكاءها.
دق جرس الهاتف في غرفة شارلوت بعد ان دخلتها بعشر دقائق. وكانت قد خلعت سترتها البيضاء وألقت بها على ارض الغرفة ودفنت وجهها في الفراش. وظل الجرس يدق لمدة دقيقة، فرفعت وجهها الذي أنهكه البكاء وتناولت سماعة الهاتف، وقالت:« نعم.»
« شارلوت! هل انت بخير؟»
كان المتحدث وليام. ولما لم تجبه على الفور واصل قائلا:« رأتك فيوليت تندفعين الى غرفتك باكية ... طمنيني!»
« كان في عيني رمش .. وخرج الآن.»
« اذن .... آسف للانزعاج!»
وضعت شارلوت السماعة واستسلمت لموجة أخرى من الأسى والشقاء. وذعرت بعد ذلك بدقائق عندما سمعت مفتاحاً يدور على عجل في قفل باب جناحها من الخارج، وحنقت لتلك الجرأة وتوقعت ان تظهر

فيوليت على باب غرفة النوم ولكنه كان وليام. وكان اول ما قاله:« انك تبكين!»
كان الغضب قد بلغ بشارلوت مبلغه وانفجرت تقول:
« كيف تجرؤ على الدخول؟ فقط لأنك ...»
تلعثمت ولم تستطع ان تكمل ... فقد احتواها بين ذراعيه وعانقها ... كأنما الزمن عاد الى الوراء أربع سنوات الى تلك الليلة التي لا تنسى قبل نفيها عن الجزيرة. لكن الامر مختلف تماماً. لم تعد طفلة كما كان ينظر اليها بل اختبر الزمن مشاعرها وتحقق من انها مشاعر دائمة.
لم يقل وليام في هذه المرة ما قاله في المرة السابقة:« هيا نذهب الى الغرفة!»
لكنه قال:« لو عرفت كم افتقدتك!»
ظل العناق بطريقة تعبر عن الشوق العاطفي الذي سبب لها القلق منذ زمن بعيد، واستجابت هذه المرة بكل عواطفها، ثم قال لها:
« أنت ايتها البلهاء الصغيرة! لقد كنت على حق، فهل كنت ستعودين الى انكلترا من دون ان تجعليني أتأكد من انك لم تتغيري؟»
« وكيف كان لي ان اعرف انك انت تغيرت؟»
« انا! لقد أحببتك دائما ... حتى في تلك الليلة التي لجأت فيها الى كل الطرق لأجعلك تكرهينني!»
« أحقا كنت تحبني دائما.»
« من اليوم الذي حضرت لتقابليني على اليخت ... تمنيت ان اكون فتى في العشرين لأصير فتاك.»
« ولماذا تركتني أمضي؟»

« يا عزيزتي ... والدتك كانت تعجبني ولكنها كانت تعرف ماضي فخشيت ألا توافق على زواجنا.»

وواصل يقول:

« لا استطيع ان اصدقك ... كنتِ في الليلة الماضية وفي هذا الصباح تنظرين إلي ببرود لدرجة انني أحسست انك رجعت خصيصا لتثأري مني.»

« لم يكن برودا يا وليام! كان توترا فلم يكن باستطاعتي ان اعرف ما يدور في رأسك!»

« حتى الآن؟»

« الآن ... نعم ... حتى تبوح لي بكل شيء.»

وهم بعناقها ولكنه ابتعد عنها فجأة، وقال:« لا زال بيننا حاجز يا شارلوت ... ليس من حقي ان اطلب اليك ان تكوني زوجتي.»

« ولم لا؟»

« بدلي ثيابك وسأنتظرك في غرفة الجلوس.»

غسلت وجهها ولبست قفطانا طويلا ولحقت به هناك ... فقال:

« تذكرين القصة التي سمعتها من المرأة العجوز التي كانت تعمل لدى أسرة سوليفان؟ طبقا لرواية تلك المرأة فإن شون سوليفان كان وحشا فظا عامل زوجته بطريقة شاذة وأصيب في النهاية بنوع من الانهيار وقتلها.»

« أليس هذا صحيحا؟»

هز رأسه قائلا:

« قتلها حقا ثم اطلق الرصاص على نفسه ولكن باقي القصة كان عكس ما سمعت تماما فانه لم يكن رجلا هرما .. وكان فارق السن بين الزوجين أقل مما

هو بينك وبيني، ولم تجبر روزالين على الزواج منه. اشتري الجزيرة ليحقق لها احدى نزواتها لتبني بيتا هنا. وأما عن القول بأنها تزوجته لتنقذ اسرتها من الافلاس فهو هراء، فلم يكن اهلها ملاك ارض جار عليهم الزمن، وكان والدها موظفا عاديا في مكتب الخارجية.»

علقت شارلوت:

« انك تتحدث كما لو كنت تكرهها.»

« كنت أحس تجاهها بأكثر من الكراهية ... ولم اشعر نحوها بحب وقد تصدمين بهذا، فليس من الطبيعي ان يكره الابن امه.»

وواصل يقول:

« أحببت سوليفان لانه عاملني كأب ولكنني غير متأكد مما اذا كان حقا ابي... وسيظل هذا سرا.»

« سر ... لماذا؟ ماذا تعني؟»

« لقد قتل سوليفان روزالين لانها بعد ان جعلت حياته جحيما ذهبت معه الى حد لا يمكن ان يحتمل... لم يفقد اعصابه بالمعنى العادي . ولكنني اعتقد انه أصيب بحالة فقدان للوعي. فقد قالت له في تلك الليلة شيئا لايحتمل أفقده كل سيطرة على نفسه، قالت انني لست ابنه، فاستجاب لغريزة عمياء دفعته الى ان يوقفها حتى لا تكرر ما قالته.»

« ولكن هل سمعت ذلك بنفسك؟»

« نعم!»

« أوه! وليام ... يا حبيبي!»

اقتربت منه وتركت ذراعيها يلتفان حوله.

أزاحها في رقة وهو يقول:

« لم اقل هذا لأكسب عطفك يا شارلوت ... ولكن لأجعلك تعرفين مدى المخاطرة اذا ما قبلت الزواج مني.»

« أية مخاطرة؟ عن اي شيء تتحدث؟»

« لو كان سوليفان ابي فانني ابن قاتل ... واذا لم يكن ابي فانني متهم في نسبي ... والشيء الوحيد الثابت ان امي كانت امرأة سيئة الخلق.»

« لا اتصور يا وليام ان يتحدث رجل في مثل ذكائك بالطريقة التي تتحدث بها السيدات المسنات عن الخزعبلات ... من ذلك الذي يعير الوراثة ذرة من الاهتمام؟ اذا لم تنجب اطفالاً فانك لن تعترض ولا شك على تبني أحد الاطفال ... لماذا تشغل نفسك بأصل والديك؟ الانسان ليس نتاجاً للخصائص الموروثة فقط ... وإلا لكان ابناء العباقرة، ولكان الاغنياء ينجبون دائما اغنياء ... بل العكس قديحدث، كما يحدث ان يتحول طفل من أسرة شريفة كادحة الى خائن متشرد.»

« انك تنسين شيئاً؟»

« وما هو؟»

« حتى لو كانت الوراثة لا تؤرقك ... فان سجل حياتي لا يستحق الاعجاب.»

قالت في جدية:

« رغم ملابسات طفولتك فانك تستمتع بالاستقرار النفسي ... عمري الآن اثنتان وعشرون سنة يا وليام، واعرف ان افكر وان اقرر من هو الرجل الذي اريد ان اتزوجه.»

« نعم ... مررت بخبرات لا بأس بها ولابد ان اعترف بأنني عندما سمعت بذهابك لتعيشي في لندن كنت لشهور اضطجع يقظاً في الليل انظر الى صورتك التي احتفظ بها وافكر كم من الرجال يحاولون غوايتك؟»

« ولكن اذا كنت قد استطعت مقاومتك وانت الشخص الذي احب ... هل كان من السهل ان استسلم لغيرك؟»

« كنت أخشى ان تتحرري لدرجة لا تهتمين فيهابما تفعلين.»

« لم اكن اعرف ان لديك صورة فوتوغرافية لي.»

« انها الصورة التي التقطها ريكاردو تورتيل ... والتي جعلتك تبدين اكبر سناً مما كنت انذاك.»

« كنت دائماً تبدو فظاً معي ... وذات مرة كنت تنام نوماً خفيفاً على الشاطىء فأيقظتك وكنت حنقاً.»

« كنت احلم بك كامرأة ناضجة وبأنني أتذوق الحب معك ... والآن كبرت بالفعل ... وبوسعنا ذلك.»

واحتواها بذراعيه. اغلقت شارلوت عينيها ... وهي تفكر في سعادة انه سيكون عليها ان ترسل عدداً من البرقيات ... ونسيت بعد ذلك كل الاعتبارات العملية واستسلمت لشعورها بفيض من السعادة ... السعادة لأنها ستصبح زوجة وليام أخيراً!

تـــــمت